# حجاجية الصورة البلاغية في الخطابة النسوية
## (مقاربة لخطب السيدة فاطمة ❁ ولخطب السيدة زينب ❁)

**م.د. نسرين ستار جبار**
**جامعة بغداد– كلية التربية / ابن رشد للعلوم الإنسانية**
**Emil: nasermkei@yahoo.com**
**07700626608**

**(مُلَخَّصُ البَحث)**

تعد الخطابة فناً أصيلا عند العرب ووسيلة ناجعة لإيصال الأفكار والتعبير عن الرؤى والتأثير بالمخاطب وحمله على الاقتناع، وقد ارتبطت الخطابة بالحجاج كونه جوهرها وللخطيب دور مؤثر في نجاح العملية الحجاجية وإرساء دعائم البناء الاقناعي عند المخاطبين فضلا عما يمتلكه الخطيب من شهرة بالأخلاق الحميدة وحبه للحق وحرصه على تحقيق العدل و تمكنه من حججه وصدق أدلته وتمتعه بسلطة تؤهله للتأثير في نفوس المخاطبين ومعرفته بمستوياتهم وقد توافرت هذه الصفات في شخصية السيدة الزهراء عليها السلام وشخصية السيدة زينب عليها السلام على نحو جلي وواضح وكانت خطبها عليها السلام حجاجا في أدق تمثلاته بناءاً وتركيباً وصورا إحقاقاً للحق وردعاً للباطل واتسم الأداء البياني المتجسد بالتشكيل الصوري بالقدرة العالية على إنتاج المعنى لما شحن به من طاقة حجاجية مؤثرة فكانت الصورة في الخطب الشريفة حجاجية بمستوياتها المتعددة كونها مستمدة من عوالم المتلقين وكفاياتهم الثقافية والنفسية من جهة ومن جهة أخرى من مضمونها الذي يحمل المتلقي على استبعاد المعاني المباشرة وتخطيها نحو مداليل أعمق عبر سلوك مسار حجاجي واستدلالي متوصلاً بنفسه إلى مقاصد هذه الصور فيذعنُ لما توصل إليه بنفسه .

**الكلمات المفتاحية: الحجاج – الصورة – البلاغة – الخطابة – النسوية**

**مقدمة في الخطابة**

تعد الخطابة من الفنون البارزة عند العرب وتتسم بالأصالة وقد أولوها أهمية بالغة لقدرتها الكبيرة على التأثير في نفوس السامعين فهي الفن الكلامي الذي يعد أنسب الفنون لقوة الإرادة وهي تجمع بين قوتي الإقناع والتأثير اللذان يدفعان إلى العمل الحاسم (أحمد الشايب، ١٩٦٦، ص٢٣).

والخطابة هي ((فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته فلا بد من مشافهة وإلا كانت كتابة أو شعراً مدوناً ولابد من جمهور يسمع وإلا كان الكلام حديثاً أو وصية ولابد من الإقناع وذلك بأن يوضح الخطيب رأيهُ للسامعين ويؤيده بالبراهين ليعتقدوه كما اعتقده))(أحمد محمد الحوفي، ٢٠٠٣، ص٥) .

فالخطيب يوظف جميع الوسائل والتقنيات المؤثرة في الإقناع وتثبيت المفاهيم التي يراد تثبيتها عن طريق الخطابة.

وحد الخطابة عند أرسطو ((صناعة مدارها إنتاج قول تبنى به الإقناع الخطابة في مجال المحتمل والمسائل الخلافية القابلة للنقاش بمعنى أنها علاقة بين طرفين تتأسس على اللغة والخطاب يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل جنساً من التأثير يوجه به فعله أو يثبت لديه اعتقاداً أو يصنعه له صنعاً)) (فريق البحث في البلاغة والحجاج، ص١٢).

وقد ارتبطت الخطابة بالحجاج فهو جوهرها وللخطيب دور فاعل في نجاح العملية الحجاجية لأن الحجاج لا يكون إلا في الأمور التي تثير الشك وتتطلب جهداً فكرياً لتدقيقها وكشف لبسها (محمد سالم، ٢٠٠٨، ص١٠٩)، لذا يعتمد في إثباتها على قدرة الخطيب في إرساء دعائم البناء الإقناعي عند السامعين ((فإذا كان المتكلم مشهوراً بالأخلاق المحمودة وحبه للحق وحرصه على العدل في الحكم وتمكنه من القضايا التي يتحدث فيها ، ... ، كان حظ الخطاب من الإقناع أوفر وتأثيره في متقبله أبعد غوراً ومنها ما يأتي من انفعالات المستمع وعواطفه)) (فريق البحث في البلاغة والحجاج، ص١٢) .

فعدة الخطيب هي:

الاستعداد الطبيعي/الفصاحة/الثقافة الواسعة/معرفة نفسية السامعين البصر بالحجة/ترتيب أقسام الخطبة، فضلاً عن سلطة المتكلم إذ اتفقت معظم المدارس البلاغية على أن النسبة الكبرى من قيمة القول إنما يكتسبها من سلطة قائلة ومكانته وقيمته (د. عباس حشاني، ٢٠١٤، ص١٨٤-١٨٥) . وقد توافرت هذه الصفات والخصائص في شخصيتي السيدة الزهراء ﷺ والسيدة زينب ﷺ على نحو بين. وخطب السيدتين ♦ تنطلق من نسق واحد وتصب في سياق واحد – رغم الفاصل الزمني بينهما – وقد سجلت الخطب موقفاً احتجاجياً وتاريخياً بارزاً . فكل ما اشتملت عليه تلك الخطب كان حجاجاً في أدق تمثلاته تركيباً وصوراً وأساليب ومضمون وأفكار ، إحقاقاً للحق وردعاً للباطل .

**بين البلاغة والحجاج**

تعد البلاغة علماً أساسياً ضمن حقول المعرفة الإنسانية في مختلف الأزمنة وهي في جوهرها علمٌ قادرٌ على التجدد باستمرار وبعيدة كل البعد عن الجمود والانغلاق أو التقهقر، كونها تتماز بإمكانية ترميم ذاتها بذاتها فلا تتوقف عن رفد النسيج اللغوي والنقدي بطرح جديد لرؤى فلسفية أو قراءة ناضجة وقد قال عنها حازم القرطاجني ((وكيف يظن إنسان أن صناعة البلاغة يتأتى تحصيلها في الزمن القريب وهي البحر الذي لم يصل أحد إلى نهايته مع استنفاد الأعمار فيها)) (محمد سالم، ٢٠٠٨، ص١٣١)، فالبلاغة عنقاء هذا الزمان لقد احترقت لتنبعث من رمادها من جديد كما يرى ذلك الدكتور جميل حمداوي. مرت البلاغة بمراحل متعددة منذ نشأتها حتى يومنا هذا وقد اتسمت كل مرحلة بخصائص فنية ومنهجية فانتقلت البلاغة من المرحلة المعيارية والتعليمية إذ كانت وسيلة للإبداع وأداة للتفنن في الكتابة وإتقانها وصولاً إلى إتقان ملكات الفصاحة والبيان – إلى وصف الأسلوب والخطاب والصورة ثم استجلاء ملامح الحجاج والتداول (حازم القرطاجني، ١٩٦٦، ص٨٨). إذاً فهي بلاغة جديدة علمية ولسانية وحجاجية تعنى بوصف الخطاب البلاغي وبيان قواعدهُ المضمرة واستخلاص بنيانه ودلالاته ووظائفه وقد تفرعت عن البلاغة الجديدة مجموعة من الاتجاهات البلاغية والتحليلية التي تتعامل مع النص من جوانبه المتنوعة فهناك الاتجاه اللساني والاتجاه الأسلوبي والاتجاه السيميائي والاتجاه الحجاجي (د. حميد حمداوي، ٢٠١٤، ص٦٥).

تشكل البلاغة الأرسطية أساساً معرفياً وفلسفياً مهماً لمعظم الاتجاهات والنظريات البلاغية واللغوية ولاسيما نظرية الحجاج . لقد استقى أرسطو تصوراته عن البلاغة من أستاذه أفلاطون ومن حواره مع السفسطائيين (د. جميل حمداوي، ٢٠١٤، ص٧٠-٨٠) إذ أسس لمنطلقات رئيسة في صياغة المفاهيم الأساسية عن البلاغة والخطابة عند أرسطو. لقد نظر أرسطو إلى البلاغة على أنها خطاباً حجاجياً وظيفته الإقناع والتأثير فالبلاغة عند أرسطو فن خطابي هدفه الحجاج لتحقيق التأثير والإقناع عبر توظيف أدوات منطقية واستدلالية عن طريق اللغة وما تشتمل عليه من حجج وبراهين وأدلة وعن طريق القيم ونعني بها تلك المنظومة القيمية والأخلاقية والفضائل النفسية التي يجب أن يتصف بها الخطيب وعن طريق المؤثرات من انفعالات ومشاعر ترتبط بالمخاطب وهي تعتمد على الترغيب والترهيب (رشيد الراضي، ٢٠١٠، ص١٢) وقد مثّل مبحث الاستدلال ركناً رئيساً تأسست عليه البلاغة الأرسطية إذ هو تفكير عقلي ينتج العلم كونه ((قولٌ مؤلفٌ

من أقوال إذا سُلِّم به لزم عنها بالضرورة قول آخر)) (د.جميل حمداوي، ٢٠١٤، ص٢٦) وهذا ما ينسجم مع ما جاء من تناول البلاغيين القدامى مبحث الاستدلال ضمن علم البيان والمعاني وكذلك ما جاء عند علماء الكلام والأصوليين والمفسرين (محمد سالم، ٢٠٠٨، ص٣٧).

عاد الاهتمام من جديد بالحجاج لدى عدد من البلاغيين أمثال بيرلمان، تيتيكا نسكومبر، ديكرو، ميشيل مايير، غرايس ارستين، سورل. فاهتموا بالخطاب من وجهة نظر حجاجية وقد تمظهر الحجاج عندهم بتمظهرات متعددة فهناك نظرية الحجاج اللغوي ونظرية الحجاج الخطابي أو الخطاب الحجاجي ونظرية الحجاج المنطقي الطبيعي ونظرية الحجاج التداولي والنظرية الجديدة في الحجاج البلاغي أو اتجاه نظرية الحجاج (محمد سالم، ٢٠٠٨، ص٣٦).

ومع تعدد المباحث البلاغية إلا أن مبحث الحجاج يمثل حلقة وصل لمراحل التفكير البلاغي عبر امتداده التاريخي قديماً ووسيطاً وحديثاً . عَرّف الحجاج بأنه ((درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم)) (د.جميل حمداوي، ٢٠١٤، ص٢٧) ولعل من أهم وظائفه:

أ. الإقناع الفكري .

ب. الإعداد لقبول أطروحة .

ج. الدفع إلى الفعل .

فالحجاج يمكن المتكلم من التأثير في المخاطب وتغيير موقفه عن طريق وسائل وتقنيات كثيرة منها ما هو عقلي كالدليل والحجة والبرهان والاستدلال والعلامة ومنها ما هو عاطفي والعواطف كالانفعال والأحاسيس والطبائع والرغبات والمخاوف ومنها ما هو لغوي كالوضوح والدقة والصور والأساليب البلاغية بمختلف مستوياتها ، من هنا كان الحجاج بنية ضاغطة داخل النص .

وقد التفت كثير من المنظرين للحجاج إلى أن كل ما في الرسالة اللغوية من وحدات هي حجة في ذاتها حتى الاستعارة التي هي استدلال قائم على المقايسة المكثفة (محمد سالم، ٢٠٠٨، ص١٠٧). فالصور البلاغية لا تقف عند القيمة الجمالية والفنية التي تحدثها في النص إنما تتضمن قيمة حجاجية وإقناعية (محمد سالم، ٢٠٠٨، ص١٠٨).

إن الصورة مع ما تؤديه من وظيفة فنية جمالية في العمل الأدبي فهي تحمل بعداً حجاجياً فاعلاً كونها توظف في صياغة التجارب والكشف عن الحالات

الشعورية فتولد التأثير والإقناع وفي التقاء هذين الملمحين تمتد خصائصها ووظائفها في الوقت نفسه فكل مقومات الصورة التي عدت فيما مضى مجرد محسنات هي مقومات حجاجية اقناعية كونها تتحد في وظيفتها داخل الصورة فتشتغل باتجاهين في آن إذ تكون الصورة أفضل وسيلة للتعبير عن الشخصية وتفكيرها ورؤاها محققة لدى المتلقي حالة إذعان وانقياد مؤدياً إلى الاقتناع (د.جميل حمداوي، ٢٠١٤، ص٣١) .

ويرى بيرلمان أن الإقناع هو الوظيفة الأساسية للبلاغة وليس التأثير فقط فـ ((تعتبر الصورة حجاجية ذات منظور مغاير إذا بدا استعمالها مألوفاً بالنسبة لوضعها الجديد المفترض أما إذا لم يهدف الخطاب إلى استجلاب موافقة المجتمع لهذه الصيغة الحجاجية فإن الصورة ستصبح محسناً بديعياً لا تعدو أن تغدو مبعث إعجاب أو مصدر استحسان الخطيب)) (د.سعيد العوادي، ٢٠١٦، ص٦٥) .

من هنا ينطلق هذا البحث لتأسيس رؤية حجاجية عن طريق بيان الآليات التي يعتمد عليها الاشتغال الحجاجي للصورة والكشف على نحو جلي وظيفتها الإقناعية. إن الوقوف عند الفعالية الحجاجية للصورة يحيلنا إلى القول بتفوق الصورة على بقية الألفاظ والأساليب المشكلة للخطاب كونها تختزن قوة تمنحها هذا البروز وتوزع قوة الصورة في عدة مستويات.

- قوة الصورة في المستوى الموضوعي .
- قوة الصورة في المستوى البنائي .
- قوة الصورة في المستوى الاقناعي (قدرتها الاقناعية) .

**المبحث الأول**

**قوة الصورة في المستوى الموضوعي**

لقد عالجت النظرية الحجاجية الموضوع أو المضمون وفقاً لأسس معرفية مشتركة حملت عنوان (منطلقات الحجاج) وهي تشير إلى ما اشتملت عليه الصور من معان ومضامين فكرية مشتركة بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس فمنطلقات الحجاج ((مجمل كفاءات المتلقين المعرفية والنفسية والثقافية والعقدية التي يأتي مضمون الصورة مستنداً إليها مشكّلاً بها معتمداً عليها بطريقة يكون مضمون الصورة هذا غير غريب عنهم فهو معلوم لديهم)) (محمد سالم، ٢٠٠٨، ص٣١).

لذا فهي توفر للخطيب النفاذية اللازمة إلى عالم المخاطبين مانحة حجاجة بداية قوية (عبد الله صولة٢٠٠١، ص٤٦٦) وتسنده لحمل المتلقي على القيام

بأفعال دون أخرى أو تسويغ تلك الأفعال فتغدو مقبولة ومؤيدة لديه وبذلك يكون نفاذ مضمون الصورة إلى قلوبهم وعقولهم في سهولة ويسر ويحصل اقناعهم بما يريده الخطيب دون أية صعوبة أو عسر (محمد سالم، ٢٠٠٨، ص١١٢) . فمنطلقات الحجاج مسلمات يقبل بها المخاطبون وتكون من لأسس التي تدعم الإقناع لدى المخاطبين، ومن أهم هذه المنطلقات في خطب السيدة الزهراء ﷺ وخطب السيدة زينب ﷺ :

**١-أ- الوقائع والحقائق :**

- الوقائع : تعد الوقائع من مقدمات الحجاج غير القابلة للدحض كونها ((تمثل ما هو مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس ... والتسليم بالواقعة من قبل الفرد ليس إلا تجاوباً منه مع ما يفرض نفسه على جميع الخلق)) (عبد الله صولة٢٠٠١، ص٤٩٦) .

- الحقائق : يوظفها المحاجج للربط بينهما وبين الوقائع ليمنح محاجة بداية قوية نافذة . فالحقائق تعتمد على فكرة الربط بين الوقائع لذا فهي تتأسس على مفاهيم فلسفية وعلمية ودينية ، فالحقائق فلسفية وعلمية ودينية . ولها الخصائص نفسها التي تتمتع بها الوقائع من حيث القبول والتوافق الذي تحظى به من لدن الناس لذا تعد من الأسس الداعمة للحجاج لما تتيحه للعملية الحجاجية من بدايات قوية(محمد سالم، ٢٠٠٨، ص١١١) .

جاء في خطبة الزهراء ﷺ في إرثها : ((وأنتم .. الآن .. تزعمون أن لا إرث لنا ! أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ؟ أفلا تعلمون ؟ بلى تجلى لكم كالشمس الضاحية أني ابنته . أيها المسلمون أأُغلب على أرثيه ؟!))(محمد سالم الأمين، ٢٠٠٨، ص٥٥٣-٥٥٤) .

لقد تحدثت الزهراء ﷺ عن حقها المغتصب بعد وفاة أبيها رسول الله ♦ منبهة وواعظة وزاجرة القوم أنهم يحكمون بحكم الجاهلية وقد اكتنز كلامها بقوة حجاجية عالية متجلية بالصورة التشبيهية التي شكلت بؤرة حجاجية رادعة للسامعين فلا يمكن لهم إنكارها أو تجاهلها . إذ عمدت ﷺ إلى تشكيل علاقة مشابهة مباشرة وهذا التشكيل له دورة الحجاجي الفاعل . فواجهت إنكارهم وجهلهم بقولها ﷺ ((بلى تجلى لكم كالشمس الضاحية أني ابنته)) فبعد أن ساقت لهم ﷺ الحج والبراهين التي تثبت أحقيتها بأرض فدك وبعد أن ذكرتهم ونبهتهم لفضل رسول الله ♦ عليهم وما أوردته في كلامها الشريف من آيات الذكر الحكيم . جاءت الصورة التشبيهية التي تعد إقراراً حجاجياً لا يمكن الشك فيه فالأمر واضح عندكم كالشمس التي تظهر في

ضحوة النهار حادة في سماء صافية لا سحاب فيها ولا ضباب . هكذا اتضح أني ابنة النبي محمد قطعاً وبلا شك وقد شبهت ﷺ وضوح هذا الأمر بوضوح الشمس في الضحى . وهو أمر لا يمكن نكرانه وهو مم اتفق عليه العرب وألفوه إذ الشمس تسطع بنورها في هذا الوقت وقد جرى عليه كلامهم في الوضوح والإبانة .

فلو أنها ﷺ قالت على نحو مباشر ((أنكم تعرفون أني ابنة نبيكم محمد ♦ )) لكان أقل تأثيراً . لأنها في عقد التشبيه بين الحالين في الوضوح والظهور نقلت المعنى من واقعه الموضوعي إلى واقع آخر بدا فيه المعنى أشد وأبلغ الأمر الذي منحه قوة حجاجية عالية . كما أنها تحيل إلى معاني مضمرة وعميقة وقد قالت السيدة زينب ﷺ مخاطبةً أهل الكوفة ((إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم هل فيكم إلا الصلف والعجب والشنف والكذب وملق الإماء ، وغمز الأعداء ...)) وجهت السيدة زينب ﷺ بعد استشهاد أبي عبد الله عليه السلام وثلة من أهل بيته الأطهار وأصحابه الأخيار الخطاب إلى أهل الكوفة بلغة مهينة ولهجة حادة كاشفة عن واقعهم الدنيء ونفوسهم الغادرة والمخادعة مؤنبة لهم على سوء فعالهم وقبيح أعمالهم خاطبتهم بأشد الألفاظ ووصفتهم بأهل الختل والغدر داعية عليهم بدوام البكاء وقد استنكرت ﷺ بكاءهم على أخيها الحسين عليه السلام بعد أن كانوا سبباً في قتله بهذه الصيغ مهدت للكشف عن حالهم المُشين إذ مثلت حالهم بحال من نقضت غزلها من بعد قوةٍ أنكاثاً .. إن هذا التمثيل يكتنز قوة حجاجية كبيرة تتأتى من :

- إن السيدة زينب ﷺ استمدت هذه المماثلة من النص القرآني الشريف الأمر الذي يعطي خطبتها قدرة حجاجية عالية لا يمكن إنكارها أو تجاهلها وهي بالتالي تؤثر في المتلقي وتشحن أجواءه النفسية بالتأنيب والندم والحسرة .
- إن هذه الصورة المعتمدة على التشبيه التمثيلي تحكي حال امرأة حمقاء من قريش تسمى بـ(ريطة بنت عمرو بن كعب) كانت تغزل مع جواريها – الصوف والشعر – من الصباح إلى نصف النهار وتصنع بذلك خيوطاً جاهزة للنسيج ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن طوال هذا الوقت ولايزال دأبها ذلك (الطبرسي، ١٤٢٤هـ، ج١، ص٢٦٧) وهذه القصص مما عرفه العرب فكان ضمن خزينهم الثقافي والمعرفي فلا يمكن لهم إنكاره .

وقد شبه الله تعالى ناقض العهد بتلك المرأة التي نقضت غزلها من بعد قوة وإتقان . فكان لهذه الصورة شحنة حجاجية عميقة لها أثرها في نفوس المتلقين كونها مستمدة من موروثهم الديني فلو أن السيدة زينب ﷺ وجهت لهم قولاً مباشراً

(أنكم غدرتم أخي وقتلتموه) لا يحقق معاني الذم والتقريع التي تصبو إليها مثل ما يحققه القول الأول كونه – أي القول الأول – يحمل في طياته حكم يدل على التوبيخ والتقريع وهو الخذلان والخيانة والغدر والختل والكذب وهو ما يجعل الأمر أكثر وقعاً وتأثيراً في أنفسهم . فالصورة هنا تتضمن أحكام قيمة لذا فهي ((أقوى مما لو كان هذا الحكم بالقيمة مصاغاً في ألفاظ غير مجازية)) (القزويني، ص٢٩٧-٢٩٨) .

من بعد قوة : أي كانت تنكث غزلها من بعد إحكام وإتقان وفتل للغزل ففي المرة الأولى يكون الغزل قوياً وصالحاً لصنع الأقمشة لكن بعد النكث يفقد الصوف معظم قوته (ميشيل لوكيرن، ١٩٩١، ص٨٨).

أنكاثاً : جمع نكث وهو الصوف والشعر يبرم ويعمل منه الخيوط ثم ينكث أي ينقض ويُفل ليغزل من جديد (القزويني، ص٢٩٨) .

﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾ أيمان جمع يمين وهو القسم والحلف .

الدخل : المكر والخيانة. أي أنهم كانوا يقسمون بالوفاء بالعهد ويضمرون في أنفسهم الخيانة فحال أهل الكوفة كحال هذه المرأة الحمقاء . وقد جعلت السيدة زينب ﷺ هذا التشكيل الصورة منطلقاً لتتابع صور أخرى تكتنف قدرة حجاجية عالية لتأدية المعنى .

أن توظيف ما هو غريب عن إدراك عقول المتلقين أو ما يجهلون معناه في مادة الصورة ومضمونها يفقدها القدرة على التأثير ويضعف قوتها الحجاجية في نفوس المخاطبين .

**المبحث الثاني**

**قوة الصورة في المستوى البنائي**

وهو ذلك ((البناء الذي تتشكل وفقه مادة الصورة تلك تشكلاً حجاجياً من شأنه أن يؤدي إلى الإقناع)) (القزويني، ص٢٩٩) ، وتتمظهر هذهِ البنى بمظاهر أسلوبية متعددة تبعاً لنوع العلاقة القائمة بين أطرافها وقد وجدنا نمطين من العلاقات التي تتشكل وفقاً لطبيعتها تلك البنى وهما علاقة المشابهة وعلاقة المجاورة :

تكمن قوة الوسائل البلاغية ((فيما توفره للقول من جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه فإذا انضافت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام وتصل بين أقسامه أمكن للمتكلم تحقيق غايته من الخطاب ، أي قيادة المتلقي إلى فكرة ما أو رأي معين ومن ثمة توجيه سلوكه

الوجهة التي يريدها له ، أي أن الحجاج لا غنى له عن الجمال ، فالجمال يرفد العملية الاقناعية وييسر على المتكلم ما يرومه من نفاذ إلى عوالم المتلقي الفكرية والشعرية)) (عبد الله صولة٢٠٠١، ص٤٩٦) وقد جاء في خطبة الزهراء ﷺ ((...وكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ، مُذْقَةَ الشّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطّرْقَ، وَتَقْتاتُونَ القد والْوَرَقَ، أذِلَّةً خاسِئِينَ صاغرين، تَخافُونَ أنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ ، فأنقذكم اللهُ تبارك وتعالى بأبي محمد ♦ )) (سامية الدريدي ، ٢٠٠٨، ص١٢٠) تحدثت الزهراء ﷺ عن حال العرب في الجاهلية وقد وصفت الحياة الاجتماعية التي ألفوها واعتادوا العيش تحت وطأتها وقد مهدت بقولها وكنتم على شفا حفرة من النار لحالة الكفر والشرك بالله فحشدت الصور التشبيهية الواحدة تلو الأخرى موظفة التشبيه البليغ الذي حُذف منه وجه الشبه وأداة التشبيه ليصبح المشبه والمشبه به أكثر التحاماً والتصاقاً ببعضهما البعض وأشد قرباً وهو بذلك يؤسس لحجاج قوي إذ وضع الصفة المقصودة في حالة تبدو فيها أشد ظهوراً ووضوحاً وكشف عن قصد المتكلم بإيجاز . وقد ورد في النص ((...وكُنْتُمْ ... مُذْقَةَ الشّارِبِ ، وَنُهْزَةَ الطّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأقْدامِ ...)) فالزهراء ﷺ قصدت بهذه التشكيلات الصورية وصف حالة الضعف والهوان التي كانوا عليها حتى أنهم لم يستطيعوا رد اعتداء أو أخْذ حق لأنهم في موضع وهن فشبهوا بمذقة الشارب والمذقة ((شربة من اللبن الذي خلط بماء)) (الطبرسي، ١٤٢٤هـ، ج١، ص٢٦١) فالنيل منهم سهل كشربة اللبن هذه . أو يسهل الأخذ منهم فلا مالك لهم وتشبيه حالهم بـ(قبسة العجلان) وهي تُشير إلى الضعف وسهولة الأخذ منهم كالجذوة التي يأخذها الرجل المسرع إذا احتاج إليها. (ونهزة الطامع) وهم كالطعام الذي لا مالك له فيطمع به الجائع فينتهز الفرصة ويستوفي نصيبه من ذلك الطعام كاللبن أو الماء الذي لا صاحب له فيشرب منه الظمآن حتى يرتوي دون رادع له أو مدافع عن ذلك الماء أو اللبن أوحامٍ له . وقولها سلام الله عليها (موطئ قدم) تصف أنهم كانوا أذلاء مستضعفين يدوسكم الأقوياء ويطأونكم بأقدامهم ويسهل الاعتداء عليهم لشتاتهم وتناحرهم .

إن هذهِ الصور التشبيهية شحنت بطاقة حجاجية عالية تفحم المتلقي، المخاطب إذ ليس بإمكانه الرد أو النكران لهذا القول فسياق الخطبة هنا هدفه المقارنة بين حال العرب قبل الإسلام وحالهم بعد الإسلام وتنبيههم إلى مكانة النبي محمد ♦ بينهم وفضله عليهم وأن هذا القصد لا يتأتى إلا بتوظيف البناء الصوري المناسب ، فابتعدت سلام الله عليها عن القول المباشر لسهولة دحضه وتفنيده

وَصبّت رؤيتها في صور تقرع الأذهان وأوصاف تؤثر في النفوس وتذكرهم بحالهم فالصورة التشبيهية أدت وظيفة حجاجية كشفت عن غرضها وهو تقريب الصورة للمتلقي والتأثير فيه وحمله على الانقياد والإذعان وهذا ما لا يوفره الكلام المباشر الذي يخلو من المؤثرات النفسية والذهنية .

ومن خطبة السيدة زينب ﷺ في أهل الكوفة نأخذ هذه الصور التشبيهية ((... وهل فيكم إلا الصَّلِفُ النَّطِفُ ، والصدر الشَنف، ومَلَقُ الإماءِ وغَمْزَ الأعداء، أو كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة)) (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ص٤٣٢) .

إن خطبة السيدة زينب ﷺ تحدد الصفات النفسية والخصال الأخلاقية لأهل الكوفة بعد أن وصفتهم بأنهم أهل الختل والغدر والمكر والكذب . وقد شخصت عيوب تلك النفوس الضعيفة والخاوية في صور متنامية تتصاعد لتبلغ الوصف المقصود . فهؤلاء الرجال هم رجال صلف وهم الذين تَمَدّحوا بما ليس عندهم إعجاباً وتكبراً (الطبرسي، ١٤٢٤هـ، ج٢، ص١١٠) وهو يدل على البغض والبخل أيضاً . ومن صفاتهم ايضا الوقاحة والجرأة على ارتكاب المحارم وأما النطف فهو المتلطخ بالعيب (العين للفراهيدي .. والصحاح للجواهري) والصدر الشنف شدة البغض والشنف المبغض (المنجد في اللغة والقاموس المحيط الفيروز ابادي) والمراد حملهم للبغض الشديد لأهل بيت النبوة سلام الله عليهم أو أن قلوبهم حاملة للبغض والكراهية على نحو عام . إن هذه المعاني التي صيغت بألفاظ مباشرة تتحول لتتجه إلى بناء أسلوبي آخر يعتمد على التشكيل الصوري الذي يهدف إلى تأكيد المعنى وتثبيته وإظهاره ومنحه قوة حجاجية عالية ومؤثرة .فقولها عليها السلام (وملق الإماء) هو بناء تشبيهي وبنية التشبيه هنا تعتمد على المماثلة بين حالين وليس بين شيئين. ا بالنسبة ل ب تشبه ما يمثله ج بالنسبة ل د . ا- أهل الكوفة وعلاقتهم بالحكام وتوددهم وتزلفهم لهم ب- الحكام ج- الجارية في علاقتها وتوددها وتزلفها د- سيدها ومالكها

فأنتم يا أهل الكوفة في تملقكم وتزلفكم للحكام رياء وابتغاء لنيل مصالحكم وليس وفاءا وإخلاصاً مماثلون لحال الجواري المستضعفات اللواتي يتوددن ويتزلفن لأسيادهن طمعا وجذبا لمودتهم ولسن بصادقات .وهي صورة تحمل الكثير من الدلالات والمضامين الحجاجية. وهي صورة تحمل الكثير من الدلالات والمضامين الحجاجية .

وتظهر لنا صورٌ تشبيهية أخرى في نص السيدة زينب تعتمد بنية التشبيه المرسل والمجمل الذي تذكر فيه أداة التشبيه ويحذف منه وجه الشبه . أو كمرعى

على دمنة أو كفضة على ملحودة المرعى المحل الذي ينبت فيه العشب ويسرح فيه القطيع، الدمنة: المحل الذي تتراكم فيه فضلات الحيوانات وتختلط مع التراب في مرابضهم فتتلبد وتتماسك الأوساخ المتكونة منها ثم بسبب الرطوبة الموجودة فيها ينبت هناك نبات أخضر جميل المنظر ولكن الجذور نابتة في مكان وسخ وقذر (القزويني، ص٢٩٩).

الفضة : المراد بها ما يوضع على القبر من شاهد وعلامة وفي العادة يهتم بها في كونها مصنوعة من الفضة أو الجص الأبيض .

الملحودة : هي الجثة الموضوعة في القبر (الطبرسي، ١٤٢٤هـ، ج٢، ص٣٠٢) والتشكيلان يشيران إلى أن أهل الكوفة كان لهم ظاهر حسن وحضارة عريقة لكن باطنهم وواقعهم كان قبيحاً يشتمل على الخبث والغدر والعدوان والخيانة والكذب والنفاق وارتكاب المحرمات ، إن تعاقب هذهِ الصور التشبيهية في نص واحد له دور حجاجي مؤثر بما يولده من تنبيه وتأنيب يقرع ذهن المتلقي/ السامع ويقوده إلى الإقرار بتلك المضامين .

وفي نص آخر تقول السيدة زينب مخاطبة يزيد اللعين ((أَظَنَنْتَ يَا – يَزِيدُ– حِينَ أَخَذْتَ عَلَيْنَا أَقْطَارَ الْأَرْضِ، وَضَيَّقْتَ عَلَيْنَا آفَاقَ السَّمَاءِ، فَأَصْبَحْنَا لَكَ فِي إِسَارٍ، نُسَاقُ إِلَيْكَ سَوْقاً فِي قِطَارٍ، وَأَنْتَ عَلَيْنَا ذُو اقْتِدَارٍ، أَنَّ بِنَا مِنَ اللَّهِ هَوَاناً وَعَلَيْكَ مِنْهُ كَرَامَةً وَامْتِنَاناً)) (الطبرسي، ١٤٢٤هـ، ج٢، ص٣٠٣-٣٠٤) .

وفي رواية أخرى ((...أَظَنَنْتَ يَا يَزِيدُ حِيث أَخَذْتَ عَلَيْنَا أَقْطَارَ الْأَرْضِ وآفَاقَ السَّمَاءِ فَأَصْبَحْنَا نُسَاقُ كما تُساقُ الأُسارى أَنَّ بِنَا مِنَ اللَّهِ هَوَاناً وَبِكَ عَلَيْهِ كَرَامَةً ...)) (الطبرسي، ١٤٢٤هـ، ج٢، ص١٢٤) تصف السيدة زينب ﷺ حالها ومن معها من العائلة أنهم كانوا في أشد الضيق والمنع ثم تعرض مسيرهم إلى الشام مصورة هيئة ذلك المسير بتوظيف التشبيه إذ كانوا يُساقون في قطار فكان جميع أفراد العائلة ومعهم الإمام زين العابدين عليه السلام والسيدة زينب سلام الله عليها كانوا مربوطين ومكتنفين بحبل واحد وقيل في الأمثال "قطار الإبل" أي عدد من الإبل على نسق واحد وفي طابور طويل (القرشي، ٢٠٠٩، ص٣٨٦) فكانوا ◄ يساقون كما تُساق الأسارى من بلد إلى بلد لا تراعى فيهم ذمة. لقد حولت هذهِ الصورة العلاقة بين المشبه والمشبه به من علاقة تشبيهية إلى علاقة حجاجية كونها بينت عظيم ما جرى عليهم من ظلم وهذا ما دفع بالمتلقين/ السامعين إلى زيادة نقمتهم على من تجرأ وفعل هذهِ الفعلة ، وقد وقع الكلام وقعاً مؤثراً في نفوسهم وأسهم في تأليب الناس على يزيد وإدانته أمام الملأ والكشف عن حقيقته.

**الصور الاستعارية**

تعد الاستعارة أكثر فاعلية من الأقوال العادية وهي أقوى الأقوال حجاجية كونها ((من الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية، بل من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جداً ومادمنا نسلم بفرضية الطابع المجازي للغة الطبيعية وما دمنا نعتبر الاستعارة إحدى الخصائص الجوهرية للسان البشري)) (القزويني، ص٤١٢) .

وتكمن حجاجية الاستعارة في أنها ((تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتلقي بقصد وجهة للخطاب محددة ومن ثمة تحقيق أهدافه الحجاجية)) (العزاوي، ٢٠٠٦، ص٢٠٥) لذا نجد أن الاستعارة الحجاجية ((أكثر الاستعارات انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية والتواصلية)) (الدريدي، ٢٠٠٨، ص١٢٠) .

ونجد أيضاً أن الاستعارة الجمالية وهي الاستعارة التي تقصد الإمتاع ولا تقصد الإقناع لا توفر الحجاج بطريقة مباشرة وإنما تؤثر فيه وتدعمه أي أنها رافد مهم وأساسي له (الدريدي، ٢٠٠٨، ص٢٦٧-٢٦٨) ويشكل البناء الاستعاري حيزاً بارزاً في خطب السيدة فاطمة ﷺ مشكلاً بنية ضاغطة داخل النص ، ومن ذلك قولها ﷺ في خطبتها بُعيد رحيل أبيها ♦ ودوره في تثبيت دعائم الإسلام ((...بَعْدَ اللّتَيّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجَالِ ... كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَها اللهُ أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلْشَّيْطانِ، أَوَ فَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخاهُ في لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، وِيُخْمِدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ)) (حشاني، ٢٠١٤، ص١٨٤-١٨٥) .

لقد خاطبت الزهراء ﷺ من كان حاضراً في المسجد ووجهت كلامها لهم مبينة حالهم قبل الإسلام وحالهم بعد الإسلام وقد كان أبوها ♦ المنقذ لهم من حال الذل والهوان والعداوة والشرك والجهل التي كانوا يعيشونها وأن زوجها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام صاحب المواقف الأسمى والأشجع في مساندة النبي ♦ وتثبيت أسس الإسلام وقد أشارت ﷺ إلى المكائد والدسائس والمكر والخديعة التي كانوا يحيكونها للإطاحة بالرسول الأعظم وبدين الإسلام، إن هذه المعاني ذات المضامين العالية تحتاج إلى تراكيب خاصة تتسم بالقوة في إثبات الدليل ودحض الإدعاء الباطل وإقامة الحجة عليهم . فكان الخطاب زاخراً بالتشكيل الاستعاري الذي يعد أقوى الأقوال حجاجية . فالزهراء ﷺ كانت واعية للمستوى البلاغي واللغوي للمتلقين/السامعين المخاطبين ولمستوى ولائهم أيضاً للنبي ♦ ولأمير المؤمنين فعمدت لأقوى البنى حجاجية هدفها التأثير في المتلقين . ومن هذهِ الصور

الاستعارية قولها ((...أَوْنَجَمَ قَرْنٌ لِلْشَّيْطَانِ...)) .نجم: ظهر وطلع- (الطبرسي، ١٤٢٤هـ، ج١، ص٢٦١-٢٦٢) وقال المجلسي رحمه الله المراد بالقرن: القوة وفسر قرن الشيطان بأمته ومتابعيه-(الطريحي، ١٩٨٧، ج٣، ص٤٤٠).

إذ شبهت حالهم في المكائد والحروب والدسائس التي كانوا يشنونها على الرسول الأكرم ♦ بظهور قرن الشيطان أو ما يدعيه من قوة متمثلة بمتابعيه وأُمته وقد حُذف المشبه من هذه الاستعارة وصرح بذكر المشبه به وتتماز الاستعارة التصريحية بقدرة عالية على إثبات الصورة في ذهن المتلقي وشعوره كونها تخفي ذكر المشبه وتدفع المشبه به إلى وجدان المتلقي وإدراكه لاسيما أن الخطبة هنا اعتمدت على المدرك العقلي فاستدعت – بوساطة هذا التصوير – كل قيم القبح والشر والعداء لله ولرسوله ♦ ممن منحها قدرة حجاجية عالية تقود المتلقي إلى الإذعان وإن هذا القول الاستعاري التصريحي لا يمكن رده أو دحضه من المتلقي ولذلك قولها ﷺ في السياق نفسه ((...أَوَفَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا، فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِمَاخَهَا بِأَخْمَصِهِ، وَيُخْمِدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ ...)) (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ج١، ص٢٦٢) نلاحظ في هذهِ الصورة الاستعارة شاخصة إذ تتجلى المعاني الذهنية في هيئة خاصة متحركة وتتجسد المكائد والدسائس والأحقاد والحروب في هيئة بشعة ومرعبة كالحية أو السبع . ففغر بمعنى فتح (مجمع البحرين) (الطبرسي، ١٤٢٤هـ، ج١، ص٢٦٢) ((والفاغرة من المشركين الطائفة العادية منهم تشبيهاً بالحية أو السبع)) (الطريحي، ١٩٨٧، ج٣، ص٤٤١) . واللهوات جمع لهات وهي سقف الفم : وقيل هي اللحمة الحمراء المتعلقة في أصل الحنك (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ج١، ص٢٦١) .

إنكفاء : مال ورجع (الطريحي، ١٩٨٧، ج٣، ص٤٤٣) .

صماخ الأذن بالكسر : الخرق الذي يفضي إلى الرأس وهو السمع وقيل هو الأذن نفسها (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ص١٤١).

الأخمص من القدم : الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطيء (الطريحي، ١٩٨٧، ج٣، ص٢٣٨، والحموي، ج١، ص٤١٦، وابن منظور، مادة صمخ) .

والمشهد يصور إحاطة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بتلك المعارك والدسائس والأحقاد وانتصاره عليها واستعلاء كلمة الإسلام نصرة للدين بوساطة توظيف الاستعارة المكنية التي تفسح المجال أمام البناء الاستعاري لتشخيص المعاني العقلية وتركيب الصور المطابقة للتجربة الشعورية .. إن هذا التشكيل

الاستعاري لم يأت من فراغ إنما كان مقصوداً في ذاته لتأدية مداليل ووظائف لا ينهض بها سواه . فقد شبهت الزهراء ﷺ أفعال المشركين بالفاغرة وهي كالسبع أو الأفعى الكبيرة ولنا أن نتصور مقدار الأذى والخوف الذي تحدثه هذه المخلوقات في حال هجومها على الإنسان فاغرة فاها أي فاتحة فمها بأقصى قوتها لإلتهامه وقتله إن هذا التصوير يتجه إلى الكشف عن حقيقة تلك الأفعال العدائية التي كانت تستهدف جسد الإسلام وروحه هذا من جهة . وشخص النبي الأكرم محمد ♦ من جهة أخرى .

ورسخت الزهراء ﷺ معنى آخر مفاده أن هذهِ الأفعى المرهبة أو هذا السبع الضاري لم يكن ليصمد أمام قوة علي بن أبي طالب عليه السلام وقد أرادت ﷺ إثبات هذا المعنى في نفوس المخاطبين كونهم على علم ودراية بشجاعة الإمام علي عليه السلام وقوته الخارجية المتمثلة بالقوة الجسدية العالية وقوته الداخلية المتمثلة بالإيمان الراسخ والشجاعة الفائقة . فكان عليه السلام . لا يعود من أرض المعركة – ذات المضمون الواسع – إلا وقد قضى على هذه الفاغرة ساحقاً إياها بأخمص قدمه . وهذه الصورة إنما تدل على الإذلال والإهانة لمشركي قريش على يد الإمام علي عليه السلام وتدل على إعلاء كلمة الإسلام . وتدل على أن الإمام عليه السلام أخ للرسول ♦ ومابرح مسانداً ومناصراً في أحلك الظروف وأشدها قسوة وخوف لرسول الله ♦ وتدل على مضمون غاية في الأهمية هو أن هذه الدسائس والصعاب والحروب والمهالك المتجسدة (بالفاغرة) لن يتمكن منها أو ينتصر عليها أو يطأ صماخها بأخمصه شخص غير علي بن أبي طالب عليه السلام وهذا ما دلت عليه بقولها ﷺ قذف أخاه لهواتها .

إن هذه المقاصد الدلالية لن تتحقق من دون القول الاستعاري المكني ... وهذا ما أدركته ﷺ .فتقصته متحرية التشكيل الأكثر وقعاً في نفوس المتلقين/المخاطبين وبمقدورها النظر إلى الأبعاد الحجاجية لهذِ الأقوال وسبر الطاقة الحجاجية الكامنة فيها فلا تدع مجالاً للشك في قوتها أو التراجع عن مصداقيتها .

كان الرسول ♦ يأمر علياً أن يرد عنه كتائب المشركين وعصابات المنافقين فكان عليه السلام يخاطر بحياته ويغامر بنفسه ويستقبل أولئك الذئاب المفترسة كان يقاتلهم وحده ويخوض غمار الحرب فيصبح التعبير ((قذف أخاه في لهوتها)) في ضم الموت بين أثياب السباع تحت سيوف الأعداء والرماح الشارعة والسهام الجارحة (الجزري ، ١٩٧٩ ، ج٢، ص٨٠ ، ابن منظور، مادة خمص) .

ومثلت الاستعارة قناة حجاجية قوية في خطب السيدة زينب ﷺ ومنها قولها ((... تلك الجثث الزاكية على الجيوب الضاحية ، تنتابها العواسل وتعفرها أُمهات الفراعل)) (القزويني، ص٣٥٣) .

وجهت السيدة زينب ﷺ خطابها للسلطة الطاغية ومن في مجلسه التي قتلت الحسين عليه السلام وأولاده وأصحابه ثم سبيت نساءه وقد أرادت وصف أولئك الأعداء الذين حضروا يوم عاشوراء لقتل الإمام الحسين عليه السلام فلم تلجأ إلى الأسلوب التقريري المباشر في نقل تلك الأحداث إلى المتلقين/المخاطبين وإنما استعانت بالتوظيف الاستعاري للكشف عن هوية أولئك الأعداء فعبّرت عنهم بالذئاب لأنهم كانوا يحملون صفة الذئاب وهي الافتراس . وهي استعارة تصريحية إذ تصرح بذكر المشبه به بكل ما يحمل من صفات .

- تنتابها : تأتي إليها مرة بعد مرة .
- العواسل : جمع عاسل وهو الذئب [وقيل العواسل جمع عَسَال وهو الرمح (القزويني، ص١٩٢) .

الجيوب : وجه الأرض الصلبة (القزويني، ص٤٦٠) وقيل الجيوب : التُراب (الفراهيدي ، ص٣٦٥).

الضاحية : يُقال ضَحا ضَحْوا : بَرَزَ للشمس أو أصابَه نور حر الشمس ، وأرض ضاحية الظلال : أي لا شجر فيها (إبراهيم مصطفى وآخرون، ٢٠٠٤ ، ص١٠٣). وقد قصدت السيدة ﷺ الأخبار عن مصْيبة بقاء الأجساد الطاهرة على وجه الأرض عدة أيام من غير دفن ، تصهرها الشمس بأشعتها المباشرة ... رغم كونهم سادات أولياء الله تعالى .

وقولها ﷺ ((... وتُعَفّرها أمّهات الفَراعِل ...)) تشير به إلى أولئك الأوغاد العشرة الذين ركبوا خيولهم وسحقوا جسد الإمام الحسين عليه السلام بعد قتله بحوافر الخيل في يوم عاشوراء (إبراهيم مصطفى وآخرون، ٢٠٠٤ ، ص١٠٥) وشبهتهم بأولاد الضباع . وحذفت المشبه واستعاضت عنه بذكر المشبه به إن البناء الاستعاري في هذا المقام شحن بطاقة حجاجية عالية كونها رسخت في نفوس المخاطبين/ المتلقين الهوية الوحشية لقتلة أبي عبد الله الحسين عليه السلام فهم كالذئاب وكالضباع . وهذهِ الحيوانات تحمل صفات الافتراس والقتل والعدوانية فهي ليست أليفة الأمر الذي لا يدع مجالاً للشك أو التردد في قبول هذهِ المقولات ذات التأثير الحجاجي الكبير .

يعد التمثيل أحد مستويي الحجج المؤسسة لبنية الواقع إذ يقوم على استخدام التمثيل استخداماً حجاجياً لأنه – في حقيقة الأمر – لا يقوم على علاقة تشابه

وإنما هو تشابه علاقة وكون وجه الشبه فيه عقلياً هو أمر يمنح المخاطب/ المتلقي متعة كبيرة وتسليم بالفرضيات المقدمة وذلك حينما يكتشف دقة وجه الشبه وطرافة الاستدلال بالتمثيل (القزويني، ص٤٦٢) .

وقد جاء في خطبة السيدة فاطمة الزهراء ﷺ التي وجهتها لنساء المهاجرين والأنصار قولها: ((...وتالله لو مالوا عن المحجة اللائحة وزالوا عن قبول الحجة الواضحة، لردهم إليها، وحملهم عليها، ولسار بهم سيرا سجحا لا يكلم خشاشه، ولا يكل سائره ، ولا يمل راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً صافياً رويا تطفح ضفتاه، ولا يترنق جانباه ولأصدرهم بطاناً، ونصح لهم سراً وإعلاناً، ولم يكن يتحلي من الغنى بطائل، ولا يحظى من الدنيا بنائل، غير ري الناهل، وشبعة الكافل ، ولبان لهم الزاهد من الراغب، والصادق من الكاذب، ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون، والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين)) (محمد سالم الأمين، ٢٠٠٨، ص١٣١-١٣٢) .

السجح : اللّين السهل (الطبرسي، ١٤٢٤هـ، ٢٦٧/١) .

الكلم : الجرح (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ص٤٣٢) .

خشاش : عود يجعل في عظم أنف البعير (الفيومي، ج٢، ص٢٣٠) .

كلَّ – يَكِلُّ من باب ضَرَبَ – كلالة : تعب وأعيا (الفيومي، ج١، ص٢٠٦) .

المنهل : بفتح الميم والهاء : المورد وهو عين ماء ترده الإبل (الفيومي، ج٢، ص٢٢٨) .

النَّمِر النُّمَيْر : كلاهما الماء الزاكي في الماشية ، النقي ، عذباً كان أو غير عذب ماء نمير أي ناجع .

نَضَحَ الإناء والنهر : امتلاء وارتفع حتى يفيض (الفيومي، ج٢، ص٣٤٠) .

ترَنْق : تراب في الماء من القذي ونحوه رَنقَ الماء وترنق كدر (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج٩، ص٢٠٧) .

الطائل : النفع والفائدة (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج١٠، ص١٢٦) .

النائل : العطاء (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج١١، ص٤١٤، ص٦٨٣) .

ري : من روى من الماء يروي رياً والرّيان ضد العطشان .

الناهل : العطشان .

الكافل : العائل والقائم بأمر اليتيم والمربي له (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج١١، ص٤١٤، ص٦٨٣) .

تصف السيدة الزهراء ﷺ نتائج القيادة الرشيدة لو كان يُفسح المجال للإمام علي عليه السلام ذاكرة المنافع والفوائد والخبرات والبركات التي ستحظى بها الأمة الإسلامية على مر الزمان . معتمدة تشكيل الاستعارة التمثيلية فتعقد علاقة مماثلة بين حالين فلو سلموا الإمام زمام الدولة والقيادة . لسار بهم سيراً ليناً سهلاً بهدوء وطمأنينة. في إدارة شؤون البلاد الإسلامية وقد ماثلت هذهِ الحالة بسير البعير. لأن البعير إذا سار بالراكب سيراً عنيفاً فلابد أن يجهده أو يؤذيه ويقلقه وكذلك فأن الدابة تتأذى وتتألم حالما يجاذبها الراكب الحبل الذي قد دخل في ثقب أنفه وربما يجرح أنف الدابة أيضاً فيلحق الأذى الاثنين معاً.

وتشير الزهراء ﷺ إلى حالة الاستقرار والأمان التي سينعم بها المسلمون ((...لا يكلم خشاشه ، ولا يكل سائره ، ولا يمل راكبه ...)) وقد ماثلت هذهِ الحال بحال البعير الذي يوضع في أنفه الحبل أو الخشب ويقال له (الخشاش) فهذا السير هادي لدرجة أنه لا يجرح أنف البعير ولا يزعج الراكب والمقصود سلامة الراكب عن كل مشقة حال السير .

وقولها ﷺ ((... ولا ورودهم منهلاً نميؤراً رويا ...)) أن القائد المخلص والصادق والتقي والورع والشجاع يقود دولته إلى الرخاء ويحقق حالة الارتياح والرضا والسعادة لدى أفراد هذهِ الدولة . كونه حريص على أن يقدم لهم كل ما فيه الخير والرفاهية وقد ماثلت هذهِ الحالة بحالة الدليل الذي يتقدم القافلة أو المسيرة فلابد أن ينزل بهم منزلاً حسناً ومكاناً لائقاً للراحة على شاطئ نهر أو عين ماء عذب، ليأخذوا حاجتهم من الماء ويستريحوا ويسقوا دوابهم.

وقولها ﷺ ((... تطفح ضفتاه ، ولا يترنق جانباه ...) تشير إلى الحياة السعيدة التي كان الناس يعيشونها. لو كانت قيادة الأمور بيد الإمام عليه السلام فالخيرات كانت تشمل أهل الأرض والعدل كان يسود المجتمع والسلامة كانت تعم الجميع وحالة الاستقرار ورفاهية العيش والاطمئنان – بمعناها المقبول – والنعيم في الآخرة . وقد ماثلت هذهِ الحالة بحالة المنهل الذي يكون وافراً فإذا كان ممتلأ يفيض جانباه لكن هذا المنهل وإن كان ممتلأ وغزيراً إلا أنه عذب لا يخالطه الطين ولا تشوبه الشوائب دلالة على جودته.

وقولها ﷺ ((... ولأصدرهم بطاناً ....)) أن نتيجة ذلك الورود هو الصدور من المنهل بالشبع والارتواء ، لتماثل حالة الاستقرار الاجتماعي التي كانوا يعيشونها فلا جوع ولا حرمان ولا مسكنة. ((... ونصح لهم سراً وإعلاناً...)) وهي من صفات الإمام عليه السلام حب الخير وعدم الغش أو الخداع فهو سيسعى عليه السلام في إسعادهم وجلب

الخير لهم بشكل علني أو سري وما كان يطلب من وراء تلك القيادة إلا الخير والنفع للناس لا لنفسه وكذا دليل المسيرة يكون مرشداً وناصحاً لهم وصادقاً معهم ولا يغشهم .

وتواصل السيدة الزهراء كلامها مبينة زهد الإمام علي عليه السلام بهذهِ الدنيا فما كان ليفيد من أموال الناس لنفسه شيئاً وما كان يصيب من بيوت الأموال وكنوز الثروة لنفسه خيراً . ثم تختم هذا التشكيل الاستعاري التمثيلي بآية من القرآن الكريم تنسجم مع سياق القول معضدة هذا البناء ورافدة حجاجه لترتفع طاقته الإقناعية .

إن إيراد الآيات القرآنية الكريمة في الخطبة يحيلنا على المستوى الآخر من مستويي الحجج المؤسسة لبنية الواقع الذي يتناول الحالات الخاصة كالمَثَل الذي يؤتى به تأكيداً للفكرة المطروحة وأيضاً الاستشهاد بالنصوص ذات القيمة السلطوية على المخاطب كالمقولات الدينية أو كلمات القواد الخالدين في نظر جماعة مقصودة لأن قيمة الشخص المعترف بها سلفاً من السامعين/ المتلقين يمكن عدَّها مقدمة حجاجية مهمة توظف في تحقيق العديد من النتائج (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج١١، ص٥٨٩). لقد اتسم هذا التشكيل الاستعاري التمثيلي بخصائص رفدت الفاعلية الحجاجية ومنحتها طاقة عالية منها :

**تقنية تتابع الصور**

- بناء الصورة الكلية من صورة جزئية متتابعة تغذي التشكيل وتنسجم معه وتكمل بعضها بعضاً فلا يستقيم المعنى ولا تكتمل الصورة بحذف إحداها ويمكن عدها تقنية بنائية حجاجية كونها تحيط بالمعنى وتدفعه نحو النمو والاكتمال فترتفع طاقته الإقناعية .
- تتيح للمتكلم/ الخطيب تشكيل صورة مقابل صورة أخرى لا تتضاد معها وإنما تتماثل في سياق تقابلي فتتيح لذهن المتلقي/ المخاطب عقد موازنة ومماثلة بين الصورتين . ممَ يقوده للإذعان والاقتناع من جهة ويمثل قوة حجاجية داخل النص من جهة أخرى .

**الصورة الكنائية**

تقوم الكناية على علاقة المجاورة ونعني بالمجاورة ذلك ((التقارب الذي يحدث بين الموصوف وصورته بسبب ارتباط أحدهما بالآخر ارتباطاً عضوياً ، وإمكانية قيام أحدهما مقام الآخر والدلالة عليه)) (محمد سالم الأمين، ٢٠٠٨، ص١٣١-١٣٢) فإذا كانت علاقة المشابهة تنبني على التقريب بين نظامين مستقلين

متشابهين فإن علاقة المجاورة تقتضي التداعي والتقريب بين لوحتين من نظام واحد مختلفتين (الطرابلسي ، ص٢٠٧).

إن علاقة المجاورة تشتغل بفاعلية داخل نظامنا الثقافي كونها تنغرس في نسقنا التصوري وليست ذات طابع لساني بحت وما نلحظه في المجاورة اللسانية إنما هو إسقاط لما هو موجود في نسقنا التصوري (عبد الإله سليم ، ٢٠٠١ ، ص٢٠٧). لذا فإن الكناية ((هي كالاستعارة ليست مجرد أداة شعرية أو بلاغية ، وليست أيضاً ظاهرة لغوية صرف ، إن التصورات الكنائية تشكل جزءاً من الطريقة العادية التي نمارس بها تفكيرنا وسلوكنا وكلامنا)) (العوادي ، ٢٠١٦ ، ص٦٨٦) .

لقد حظيت الكناية – بفضل العلاقة التي تقوم عليها – بعناية واهتمام كبيرين من البلاغة الحجاجية فإن التوجه الحجاجي خطا خطوات متقدمة في سبيل إبراز الدواعي الحجاجية التي تدعو المخاطب/المتكلم إلى توظيف علاقة المجاورة وفضلاً عن خصوصية تبئير (لايكوف وجونسن، ١٩٩٦، ص٥٦) عنصر دون غيره انصياعاً إلى قانون الأجدى حجاجياً وبيان صلة التراكيب التجاورية بالمواضع أو مخازن الحجج التي تشكل ميثاقاً تعاقدياً قيمياً بين الجماعة اللسانية [*] أو الجماعة الثقافية[**].

الجماعة اللسانية هي تلك الجماعة التي تشترك في لغة واحدة تتواصل من خلالها . والجماعة الثقافية هي تلك الجماعة التي تشترك في جملة من القيم الثقافية. وقد نبه عبد القاهر الجرجاني على القدرة التأثيرية والطاقة الإقناعية للكناية حين قال ((أن كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه أن إثبات الصفة بإثبات دليلها وإيجابها بما هو شاهد في وجودها ، آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجاً غفلاً وذلك أنك لا تدعي شاهد الصفة ودليلها إلا والأمر ظاهر معروف وبحيث لا يشك فيه ولا يظن بالمخبر التجوز والغلط)) (العوادي، ٢٠١٦، ص٦٦٩) ولنا أن نلاحظ على نحو جلي المداخل الحجاجية التي يؤسس لها الجرجاني فضلاً عن وقوفه على بيان مفهوم الأجدى حجاجياً فالكناية تثبت وصفاً موجوداً في الأصل وهذا أبلغ وأجدى لأن ذكر الحكم مع دليله أبلغ وأجدى من ذكره مجرداً .

---

(*) التبئير: هو تسليط الضوء على ما هو أهم في المعلومة فهو الجديد والذي يريد المتكلم إيصاله إلى المخاطب . ينظر: البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته ٤٥/١.

(**) الجماعة اللسانية هي تلك الجماعة التي تشترك في لغة واحدة تتواصل من خلالها . والجماعة الثقافية هي تلك الجماعة التي تشترك في جملة من القيم الثقافية والسلوكيات الرمزية حتى لو كانت لا تتواصل بلغة واحدة . (العوادي ، ٢٠١٦، ص٦٦٩) .

ومدار الكناية عنده ((أن يُريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه و ردفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه)) (الجرجاني، ١٩٩٢، ص٧٢).

فالكناية تنشئ رمزاً وما يثبت حجاجيتها مراد المتكلم وقصده من الرمز لذا فإن حجاجية الكناية تكمن في العلاقة القائمة بين المعنى الذي يقصده المحاجج والمتلقي الذي يوجه إليه هذا المعنى (الجرجاني ، ١٩٩٢ ، ص٦٦) .

فالكناية وسيلة من الوسائل الحجاجية ولتحقيق الحجاج فيها يوظفها الخطيب/المتكلم توظيفاً إقناعياً مناسباً متوخياً مناسبتها لمقام معين فيقدمها مقام الدليل القوي لقصده .

وقد حفلت خطب السيدة فاطمة الزهراء ﷺ بالصور الكنائية المؤثرة موظفّه إياها في الاحتجاج على المتلقي/ المخاطب فقالت في حديثها عن فترة الانقلاب الذي قام به الأفراد بعد وفاة الرسول ♦ ((ظَهَرَ فيكُمْ حَسكَةُ النِّفاقِ وَسَمَلَ جِلْبَابُ الدّينِ، وَنَطَقَ كاظِمُ الْغاوِينِ، وَنَبَغَ خامِلُ الأَقَلّينَ، وَهَدَرَ فَنيقُ الْمُبْطِلِين، فَخَطَرَ فِيَ عرَصاتِكُمْ، وَأَطْلَعَ الشيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ، هاتفاً بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجيبينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ .ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافاً، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكَمْ غِضاباً...)) (حشاني ، ٢٠١٤ ، ص٢٨٨) .

فالزهراء ﷺ لا تذكر الأشخاص الذين أحدثوا بعد وفاة رسول الله ♦ ما أحدثوا من انقلاب وفتنة ... على نحو صريح وإنما تلجأ إلى التشكيل الكنائي الذي يدعم الدلالة حجاجياً ليكون هذا البناء بمنزلة إثبات الحجة بإثبات دليلها . وإيجابها بما هو شاهد في وجودها أن هؤلاء الأفراد كانوا في عهد النبي ♦ كما تصفهم ﷺ (كاظِمُ الْغاوِينِ، خامِلُ الأَقَلّينَ، فَنيقُ الْمُبْطِلِين) فقد أثبتت مكانتهم الاجتماعية بإثبات صفاتهم في مجتمعهم وتحديد قيمتهم في زمن النبي محمد ♦ أي تكلم الذي لم تكن لديه الجرأة أن يتكلم في عهد رسول الله خوفاً وبرز الأفراد الساقطين غير النابهين في مجتمعهم ورفع البعير الذي لا يركب صوته ومشى مشية المعجب بنفسه المغتر بحاله المتكبر وكلها كنايات عن ظهور النفاق الكامن في الصدور وبروز النزعات والاتجاهات التي كانت مختفية في عهد النبي ♦ وانقلاب الضعفاء العجزة أقوياء (الطبرسي، ج١، ١٩٩٢ ، ص٢٣٦-٢٦٥).

وتتحول السيدة الزهراء ﷺ بالتصوير الكنائي إلى غاية أخرى وهي فضح حقيقة نوازعهم النفسية تلك النوازع التي إنبنت على طاعة الشيطان ، فقد عدت السيدة الزهراء ﷺ تلك الأحداث نوعاً من الاستجابة للشيطان الرجيم الذي أقسم بقوله

﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾ (سورة ص: ٨٢-٨٣) فالشيطان اللعين كان مندحراً فاشلاً في عصر الرسول ♦ يوم كان دين الإسلام في قوته وسلطته. لكن الشيطان الرجيم بعد وفاة النبي ♦ أخرج رأسه بعد أن كان مختفياً وهتف بكم ودعاكم إلى نقض البيعة التي تمت يوم غدير خم وسلب الحقوق عن أهلها وأصحابها الشرعيين (القزويني، ١٤١٤هـ، ص٣٦٢-٣٦٣) . وتكني ❁ عن سرعتهم إلى طاعته والاستجابة لدعوته بإثبات صفات أفعالهم (ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً) فهي دليل على الإسراع وعدم التثاقل وسهولة الانقياد (وأحشمكم فألفاكم غضاباً) وحرضكم على الغضب فوجدكم تغضبون لغضبه وتندفعون لأجل مصلحته وهو تصوير يكشف عن سهولة انقيادهم لأوامره وطاعتهم له في كل الأحوال دون تفكر أو تعقل .

إن هذه الكنايات المتدافعة في النص قد شحنته بطاقة حجاجية كبيرة موجهة للمتلقي/المخاطب لتعري نواياه فحجاجية الكناية تتركز في العلاقة القائمة بين المعنى الذي يرمي إليه المتكلم/ المحاجج والمتلقي الذي يوجه إليه هذا المعنى . وهو ما تحقق في خطاب السيدة الزهراء ❁ .

أما خطب السيدة زينب ❁ فقد اكتنزت قيماً حجاجية ذات مضمون عالٍ ومؤثر يعود إلى بناء الصورة كنائياً ذلك البناء الذي يتيح للمتكلم أن يكّون رمزاً وتكمن حجاجية البناء الكنائي في قصدية المتكلم/المحاجج من الرمز ليحقق مبتغاه .

وقد جاء في خطبة لها ❁ في الشام أمام يزيد بن معاوية (لعنه الله) قولها ((...أَظَنَنْتَ يَا يَزِيدُ أنك حِينَ أَخَذْتَ عَلَيْنَا أَقْطَارَ الْأَرْضِ، وَضَيَّقْتَ عَلَيْنَا آفَاقَ السَّمَاءِ، فَأَصْبَحْنَا لَكَ فِي إِسَارٍ الذل، نُسَاقُ إِلَيْكَ سَوْقاً فِي قِطَارٍ، وَأَنْتَ عَلَيْنَا ذُو اقْتِدَارٍ، أَنَّ بِنَا مِنَ اللَّهِ هَوَاناً وَعَلَيْكَ مِنْهُ كَرَامَةً وَامْتِنَاناً وَأَنَّ ذَلِكَ لِعِظَمِ خَطَرِكَ وَجَلَالَةِ قَدْرِكَ فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ وَنَظَرْتَ فِي عِطْفٍ، تَضْرِبُ أَصْدَرَيْكَ فَرِحاً وَتَنْفُضُ مِدْرَوَيْكَ مَرِحاً حِينَ رَأَيْتَ الدُّنْيَا لَكَ مُسْتَوْسِقَةً وَالْأُمُورَ لَدَيْكَ مُتَّسِقَةً وَحِينَ صَفا لَكَ مُلْكُنَا وَخَلَصَ لَكَ سُلْطَانُنَا. فَمَهْلًا مَهْلًا لَا تَطِشْ جَهْلاً ...)) (القزويني، ١٤١٤هـ، ص٣٦٢) . إن احتجاج السيدة زينب ❁ على يزيد في هذا النص يكاد أن يكون وثيقة تاريخية مهمة لما اشتملت عليه من تصوير صادق للحياة السياسية والدينية آنذاك وقد حفل هذا النص بصور كنائية متتابعة اتجهت لتصور أمرين :

الأول : في قولها ❁ ((...أَخَذْتَ عَلَيْنَا أَقْطَارَ الْأَرْضِ، وَضَيَّقْتَ عَلَيْنَا آفَاقَ السَّمَاءِ...)) إذ صورت بسط نفوذ يزيد وسطوته من جهة والتضييق على أهل البيت والتشديد والمنع والمحاصرة من جميع الجوانب والجهات بحيث لا يستطيع الخروج

أو التخلص من الأزمة على أهل البيت ﷺ من جهة أخرى ، ومنحت المتلقي انطباعاً عن حجم جيش يزيد وقدراته الكبيرة لمواجهة أهل بيت النبوة. إن بسط النفوذ وتحشيد الجيوش إنما يقتضي إشاعة أجواء الفزع وإثارة الرعب والخوف في المجتمع.

الثاني : فضح صورة التكبر والغرور عند يزيد وقد نهى الدين الإسلامي عن هذين الصفتين وذمهما في محكم تنزيله وقد كنّت ﷺ عن هاتين الصفتين بقولها ((فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ ، وَنَظَرْتَ فِي عِطْفٍ، تَضْرِبُ أَصْدَرَيْكَ فَرِحاً وَتَنْفُضُ مِدْرَوَيْكَ مَرِحاً...)) . يُقال شمخ بأنفه : أي رفع أنفه عزاً وتكبراً .

والعِطف – بكسر العين – جانب البدن والإنسان المعجب بنفسه ينظر إلى جسمه وإلى ملابسه بنوع من الأنانية وحب الذات والغرور .

أما الأصدران : فهما عِرقان تحت الصدغين ، وضرب أصدريه أي حرك رأسه – بكيفية خاصة – تدل على شدة الفرح والإعجاب بالنفس إزاء ما حققته من انتصار متوهم .

ويقال : جاء فلان ينفض إذا جاء باغياً يهدد الآخرين وهي أيضاً بمعنى يهز إليتيه وهو نوع من حركات الرقص عند المطربين حينما تأخذهم حالة الطرب والخفة (الطبرسي، ج٢، ص١٢٤) .

نجد جلياً أن البنى الكنائية المتوالية رصدت أحوال المخاطب/يزيد لتكشف عن أخلاق حاكم الأمة وهي أخلاق مذمومة في كتاب الله قال تعالى: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ * ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (سورة الحج: ٨–٩) لقد حققت السيدة زينب بوساطة الصور الكنائية رمزاً مقصوداً وموجهاً للمخاطب/المتلقي ليكون علاقة حجاجية عميقة بين المخاطب/المتلقي والمعنى المراد إثباته ولتحفزه على الانفعال والاقتناع وهنا تكمن حجاجية الكناية

لقد نهضت البنى الكنائية موظفة قدراتها الحجاجية بدلالات معينة .

- مواجهة التحديات والمواقف الصعبة بشخصية قوية قادرة على تشخيص سلبيات الخصم والرد عليه بلغة رادعة وحادة .
- الاحتجاج على الخصم عن طريق إثبات صفاته الذميمة بأسلوب لا مجال لرده أو نكرانه .
- إثبات الحقائق التاريخية دون تزييف وفضح دعاوى الخصوم وحملهم على الانقياد والإذعان.

**المبحث الثالث**

**قوة الصورة في المستوى الاقناعي (قدرتها الاقناعية)**

لقد أدرك البلاغيون القدامى أهمية التوظيف المجازي في الخطاب الأدبي فقدموه على الحقيقة ووجدوا فيه قدرة إبداعية وتأثيرية أعلى من الكلام الصريح وتوصلوا إلى أن ((المجاز أبلغ من الحقيقة وأن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه وأن الكناية أوقع من الإفصاح بالذكر)) (القزويني ، ص٤١٣-٤١٤ ، الطبرسي، ج٢، ص١٢٤) وحاولوا تفسير ذلك التأثير الذي اشتملت عليه الصور البلاغية بآرائهم ووقفوا عند تلك الفنون فالاستعارة ((تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ)) (السكاكي، ١٩٨٧، ص٥٢٣) وأن للتمثيل القدرة ((إذ جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضة ونُقلت عن صورها الأصلية إلى صورته ، كساها أبهة وكسبها منقبة ورفع من أقدارها وشب من نارها وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ودعا القلوب إليها واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفاً وفسَرَ الطباع على أن تعطيها محبةً وشغفاً وإن كان حجاجاً كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر)) (الجرجاني، ص٤٠) فكانوا على وعي تام بالقدرات التأثيرية المؤدية للإقناع التي تكتنزها الصور البلاغية . أما في أدبيات الحجاج فقد وقف البلاغيون عند الآليات التي تمنح الصور هذهِ القوة وترفع قيمتها الحجاجية فكانت آليات الحجج شبه المنطقية من أكثرها ظهوراً في الصور إذ وظفت آليتين هما: (الاستدلال) و (السلم الحجاجي) .

**<u>الاستدلال</u>**

يعد الاستدلال من الآليات التي اعتمدها البلاغيون العرب القدامى وصولاً إلى المعاني المقصودة وإبانة لمرامي الأديب وقد ارتبط مفهوم الاستدلال البلاغي بمفهوم المعنى ومعنى المعنى عند الجرجاني ، هذا المفهوم الذي تطور ليتخذ شكلاً آخر أكثر تفصيلاً على يد السكاكي وقد أسماه (الملازمة بين المعاني) ثم أصبحت تشير إلى الانتقال من دال إلى مدلول فيكون أحدهما دليلاً على القول الآخر (الجرجاني، ص٨٥) .

فالاستدلال ((عملية خطابية يتم بموجبها اتخاذ علامة مادية أو معنوية وجعلها شاهداً ومثالاً على شيء أو صفة من صفاته)) (شكري المبخوت، ٢٠٠٦، ص٣٢-٣٣). أن اشتمال الخطيب على صور بلاغية تقود المتلقي إلى استبعاد المعاني الظاهرة للمفردات فيتجه اتجاهاً استدلالياً حجاجياً يؤدي إلى اكتشاف معانيها فالمتكلم يعتمد على الشكل الذي يتضمن المعاني ولا يصرح بها ويزيد من قوة الصورة ويرفع طاقتها الإيحائية ويكثف قدرتها

الحجاجية . كما أن الفعالية الحجاجية بوصفها فعالية خطابية لا تظهر لغوياً إلا بتوظيف مهارات أسلوبية وتأثيرات بلاغية وهذه العوامل تخضع للشروط الإبداعية كونها متطلبات جمالية وألبسة يتلبسها مسار الحجاج وعلاقاته الداخلية وتتفاوت قيمة هذه العوامل من نص حجاجي إلى آخر (حبيب إعراب ، ٢٠٠١ ، ص١٢٤) .

وقد جاء في خطبة السيدة الزهراء ﷺ ((...أَلا قَدْ أرى أَنْ قَدْ أَخْلَدْتُمْ إِلَى الْخَفْضِ، وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ، وَخَلَوْتُمْ بِالدَّعَةِ، وَنَجَوْتُمْ مِنَ الضِّيقِ بِالسَّعَةِ ...)) (حبيب إعراب ، ٢٠٠١ ، ص١٠٦) موجهة خطاباً وعتاباً في آن واحد إلى الناس وقد أطلقت عليهم في أول خطابها لهم ((... بني قيلة)) أي أولاد قيلة وهم الأوس والخزرج (الطبرسي، ج١، ص٢٥٦) فالزهراء ﷺ تستنفرهم وتستنهضهم لنصرتها واستعادة حقها فتقول لهم أنها تعلم أنهم قد أقاموا على الراحة وسعة العيش كونهم أبعدوا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي هو أحق وأولى بولاية الأمور والتصرف بقضايا الإسلام من غيره. أن قولها ﷺ ((وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ ...)) يدفع المتلقي إلى استبعاد المعاني الظاهرة للمفردات ليسلك اتجاهاً استدلالياً وصولاً إلى الأغراض المقصودة والاستدلال يتيح للمتلقي/السامع فرصة تأويل تلك المعاني بنفسه .

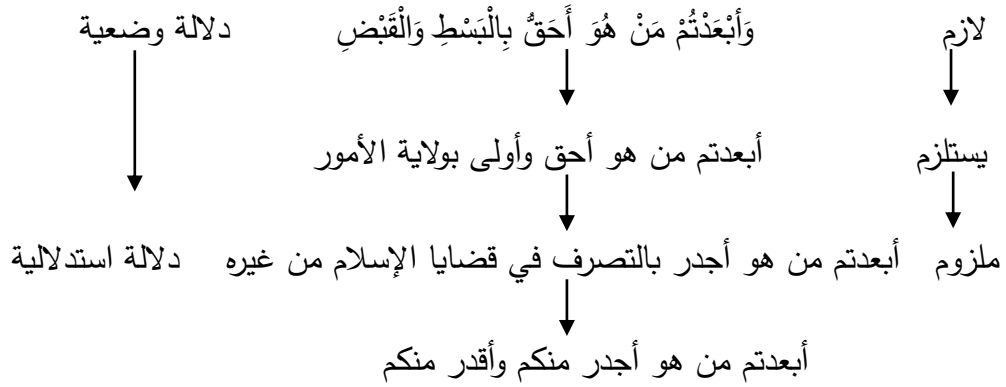


إن هذا المسار الاستدلالي الحجاجي كان مقصوداً من السيدة الزهراء ﷺ لأنها قيلت في ظروف سياسية خاصة تمثلت بالتنكر للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وسلبه حقه في ولاية الأمور وهو الأمر الذي أوصى به الرسول ♦ وعهد به إلى المسلمين في يوم الغدير الأغر. أيضاً تمثلت تلك الظروف بسلبها حقها الذي وهبه لها والدها الرسول الأكرم ♦ وهذا كله إنما كان تمهيداً لسحب السلطة الدينية والسياسية من أيدي آل الرسول ♦ ففي ظل هذه الظروف كان على الخطاب الفاطمي أن يكون شديداً في إظهار الحق ونصرته إذ وظفت البناء الصوري لتركيز أحقية الحكم بيد الإمام علي عليه السلام كونه الأولى والأجدر بذلك من سواه . ونقف عند قولها ﷺ في السياق نفسه ((ونجوتم من الضيق بالسعة....)) (القزويني، ١٤١٤هـ، ص٣٩٠) .

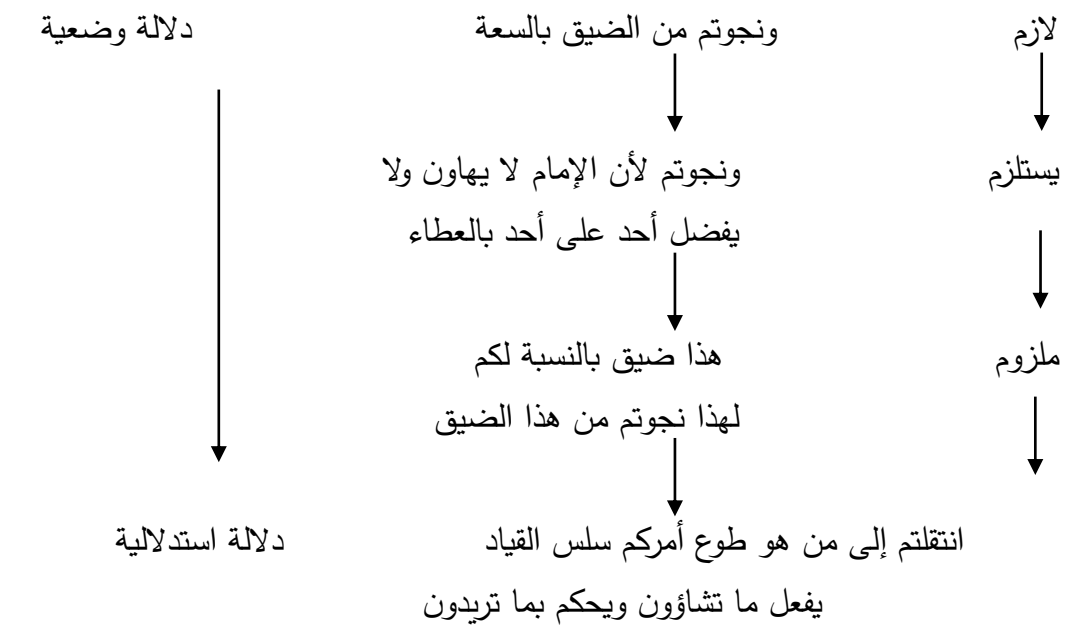


إن المسار الحجاجي إنما يتجسد في البنى الكنائية كونها تعتمد على الاستدلال في الوصول من المعاني الأولى إلى المعاني الثانية المقصودة أو ما أطلق عليه الجرجاني مصطلح (المعنى ومعنى المعنى) فتكون الصورة الكنائية ذات قوة حجاجية أعلى من سواها فلا يمكن للقارئ/ المتلقي التخلي عما وصل إليه من أفكار راسخة عن طريق الاستدلال . أما الصورة في خطب السيدة زينب ﷺ فقد اتسمت بقوة حجاجية وإقناعية عالية متمثلة بقولها ﷺ في خطبة لها في الشام في مجلس يزيد (لعائن الله عليه)((... أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا...))(الطبرسي، ج٢، ص٢٧٢).

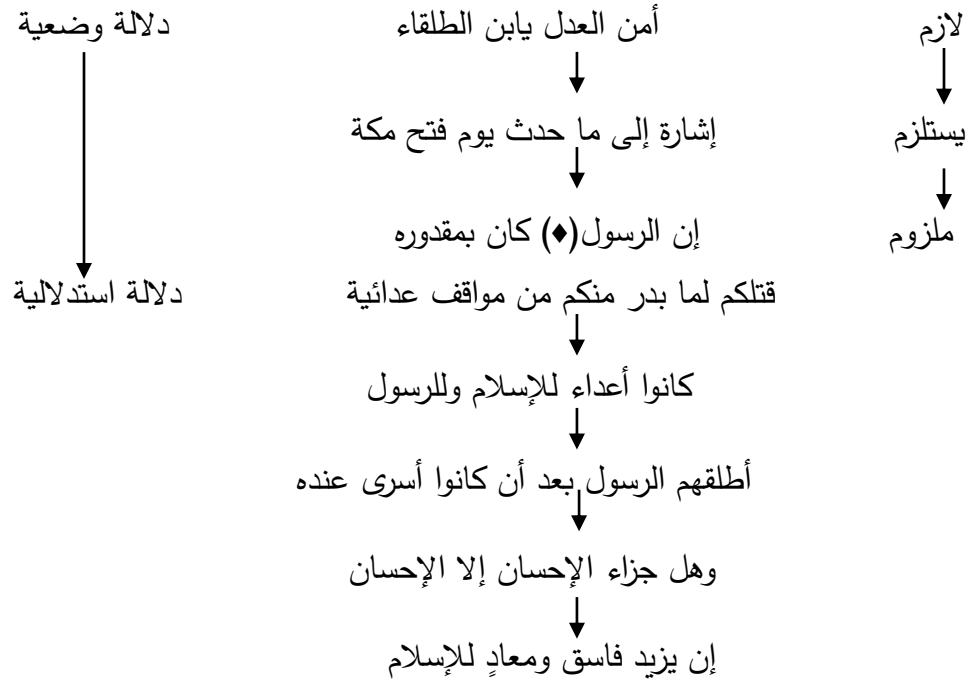

إن المسار الحجاجي الذي لا بد للمخاطبين الانخراط فيه بغية الوصول إلى المعنى المراد كان مقصوداً من السيدة زينب ﷺ من وجوه عدة :

- إن السيدة زينب ﷺ أرادت أن تكشف للحضور وللعالم الإسلامي حقيقة يزيد عن طريق ذكر التاريخ المشين لأجداده ومواقفهم العدائية ضد الرسول ♦ والإسلام .
- إن هذهِ الكلمة إنما تشير إلى ما حدث يوم فتح مكة وهو أمر لا يمكن إنكاره. فعندما أصبحت مكة تحت سلطة الرسول الأكرم ♦ كان بإمكانه أن يقتل أعداءه وأعداء الدين لما صدر منهم من مواقف ومؤامرات وحروب طاحنة كانوا هم قادتها إلا أنه ♦ عفا عنهم بمقولته المعروفة ((اذهبوا فأنتم الطلقاء)) وكان فيهم : معاوية وأبو سفيان ويزيد هو ابن معاوية وحفيد أبي سفيان .
- أرادت ﷺ أن تذكر بالإحسان الذي بذله رسول الله لأسلاف يزيد حين أطلقهم بعد أن كانوا تحت قبضته .
- النتيجة التي يتوصل إليها ذهن المتلقي/السامع هي أن يزيد معادٍ لسول الله ولدين الإسلام ولآل الرسول ولا يراعِ فيهم ذمة ولا حرمة . فهو فاسق ومارق عن الدين وعن الخلق العربي الأصيل .
- وقولها ﷺ في الخطبة نفسها ((... وأنى يُرتجى الخير ممن لفظ فوه أكباد الشهداء ؟! ونبَتَ لحمُه بدماء السعداء، ونصبَ الحربَ لسيد الأنبياء. وجمع الأحزاب، وشهَرَ الحراب، وهز السيوف في وجه رسول الله ♦ ...)) (الطبرسي، ج٢، ص١٢٥) .

ونلاحظ أن السيدة زينب ﷺ تعمد إلى فضح بواطن يزيد فكل ما قام به من أعمال كانت لأجل القضاء على الإسلام وهذهِ الجرائم تعد أمراً طبيعياً يصدر منه كونها تعود إلى عوامل الوراثة فضلاً عن شربه للخمر وإيتاء الفحشاء والفجور وسواها من الموبقات .

ومرة أخرى تؤكد على نسبه المخزي فبعد أن عدّت والده وجده تعود لتعري نسبه من النساء البواغي فهو ابن آكلة الأكباد . وتشير هذهِ التسمية إلى ما حدث في واقعة أحد وإلى مقتل سيدنا الحمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء وعم رسول الله ♦ حينما جاءت هند أم معاوية وجدة يزيد وشقت بطن سيدنا حمزة وأخرجت كبده وأخذت قطعة منه ووضعتها في فمها وحاولت أن تأكلها لحقدها المتأجج لكن الله تعالى حول تلك القطعة إلى حجر صلب كيلا يدخل في جوف هذهِ الفاسقة فلفظتها ورمتها من فمها . ويزيد هو حفيد هذهِ المرأة الحقودة والفاسقة

ممن لفظ فوه أكباد الشهداء

↓

ابن آكلة الأكباد

↓

نسبه سيء وحاقد

↓

ويزيد هو حفيد هذهِ المرأة الفاسقة

وتستمر ﷺ بفضح هذا النسب العفن الذي يضمر العداوة والحقد . إذ تكتفي بالمعنى الضمني الذي يزيد من طاقة الصورة وقوتها الإيحائية وتبتعد عن الشكل المباشر والصريح كونه يقوض مكامن القوة في الصورة ويضعف قدرتها على التأثير. ونجد فيما مضى من نصوص أن الصور تبنى بناءاً خاصاً فلا يصل المتلقي إلى المعنى المقصود منها بسهولة وإنما بتأمل وتفكر وتدبر فيسلك مساراً استدلالياً خاصاً يساعده على كشف المعنى المراد بنفسه وأن هذا الكشف هو مكمن حجاجية الصورة وقوتها فالمتلقي حينما يفكك أجزاء الصورة ويقف عند دلالالتها بنفسه لا يكون بمقدوره أن يرفض أو يدحض ما توصل إليه من نتائج.

– السلم الحجاجي : لقد عني البلاغيون بتحليل الصور البلاغية وإظهار الأثر الوجداني الذي تتركه لدى المتلقي . كونها الأنسب دون غيرها من الألفاظ والتوظيفات المحتملة للتعبير عن المعاني . وقد وقفت البحوث المعاصرة عند آليات حجاجية تؤكد هذا المفهوم وتعرض تقنيات اشتغاله داخل النص . ومنها (السلم الحجاجي) و ((نسمي سلماً حجاجياً كل علاقة ترتيبية لحجج معينة)) (الطبرسي، ج٢، ص١٢٥) إذاً فالسلم الحجاجي يحكم ((تدافع الحجج وترتيبها بحسب قوتها)) (العوادي، ٢٠١٦، ص٤٥٨) .

والسلم يتكون من فئة حجاجية موجهة ويشتمل على مجموعة من الدرجات في القوة والضعف (عبد الهادي الشهري ، ص٩٥) وهناك ارتباط وثيق بين مفهوم السلم الحجاجي ومفهوم القوة الحجاجية ذلك لأن البراهين والأدلة والحجج تكون متفاوتة ومتباينة في قوتها الحجاجية . وأن العلاقة الترتيبية بينهما تقوم وفقاً للقوة الحجاجية لكل دليل (جميل حمداوي، ٢٠١٤، ص٣٨) .

فالحجج تنبني وفقاً لعلاقة ترتيبية تجعل أقواها يقع على رأس السلم وأضعفها يقع في أسفله.

ويمكننا ملاحظة التعالق بين السلم الحجاجي والقوة الحجاجية في بنى الشبيه والاستعارة والتمثيل . وقد جاء في خطبة السيدة الزهراء ﷺ التي خاطبت بها نساء المهاجرين والأنصار قولها: ((...أما لعمري لقد لقحتْ، فَنَظِرة ريثما تُنتج ثم احتبلوا ملء القعب، دماً عبيطاً وذعافاً مبيداً ...)) (أبو بكر العزاوي ، ٢٠٠٦ ، ص١٠٦). إن الزهراء ﷺ تصف الفتنة وتصورها في بناء استعاري تمثيلي يعتمد على عقد مماثلة بين حال الفتنة وحال الناقة . فالناقة تلقح لتحمل صغيراً وتلده/تنتج وبعدها تدر اللبن لصغيرها كذلك الفتنة فقد لقحت أي حملت بعواقب وفتن وشرور ستتولد منها /تنتج لكن المفارقة هي أنها لن يتحلب منها اللبن وإنما الدم والقتل والحروب الطاحنة . فبعد أن كان الدين القويم دين الأمن والسلام والحياة الكريمة إذا به ينقلب لدى هؤلاء فيصبح دين المنافع والدمار والحروب والقتل . إن تعبير السيدة الزهراء ﷺ كان غاية في الدقة حين وظّف حرف العطف (ثم) دليلاً على أن النتائج المردية للفتنة لن تظهر في وقت قريب وإنما يستمد تأثيرها إلى المستقبل .

إن هذا التصوير يتضمن قوة حجاجية كونه ينبني على تحليل الأحداث واستنتاج ما ستؤول إليه الأمور على نحو مؤثر ولا يمكن رده أو نكرانه وهذا ما حدث بالفعل إذ لم تتمكن النساء من رد هذا القول أو دحضه . ولو أدرجنا هذه الأقوال في سلم حجاجي يعتمد على العلاقة الترتيبية بين الحجج إذ تقع أقوى الحجج في رأس السلم وأضعفها في أسفله .

ن:استمرار

الفتنة ↑ ق٣ لقحت فنظرة ريثما تنتج ثم احتبلوا ملء القعب دماً عبيطاً وذعافاً مبيداً وتطورها

ق٢ الفتنة ستنتج فتن أخرى

ق١ انتظروا عواقب الفتنة

ومن ملاحظة الأقوال نجد أن القول الثالث أقوى الحجج في دعم النتيجة (استمرار الفتنة وتطورها) .

وجاء أيضاً في خطبة السيدة زينب ﷺ في مجلس يزيد (لعنة الله عليه) موجهة خطابها ليزيد ((...فَتِلْكَ قُلُوبٌ قَاسِيَةٌ وَنُفُوسٌ طَاغِيَةٌ وَأَجْسَامٌ مَحْشُوَّةٌ بِسَخَطِ اللَّهِ وَلَعْنَةِ الرَّسُولِ قَدْ عَشَّشَ فِيهِ الشَّيْطَانُ وَفَرَّخَ وَمَنْ هُنَاكَ مِثْلُكَ مَا دَرَجَ وَنَهَضَ...)) (الطبرسي، ج١، ص٢٩٠) .

إن القلوب التي تتحدث عنها السيدة زينب ﷺ فضلاً عن كونها قاسية وملعونة فهي – أي القلوب – مرتع وعش ووكر ومحل لإقامة الشيطان وهذا التعبير إنما دليل على تحكم الشيطان بنفوسهم وعقولهم وتصرفاتهم وأقوالهم فيوجههم حيثما يريد وهم بذلك بعيدين كل البعد عن الصفات الحميدة للإنسان المسلم ولا يمكن للشيطان مغادرة نفوسهم وعقولهم لوجود دواعي الاستقرار فيها وتحقق أسباب ديمومة بقاءه إذ وضع أفراخه في أعشاش تلك النفوس الضعيفة أمامه وهذا يضمن بقاءه واستمرار وجوده وتأثيره فيهم .

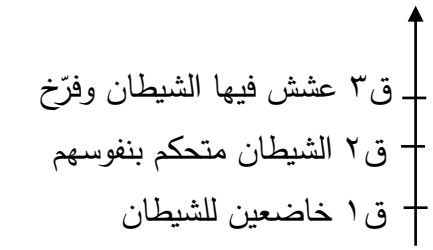


نجد أن القول الثالث هو أقوى الأقوال حجاجياً إذ تكوّن الصورة الاستعارية دليلاً قوياً ورادعاً لا يمكن دحضهُ أو نكرانه وهي أقوى الأقوال الصورية وأشدها تأثيراً.

ونكتشف مم مضى من شواهد أن السيدة الزهراء ﷺ والسيدة زينب ﷺ لا يقدمان المعاني والأغراض والمقاصد على نحو مباشر وتقريري وإنما يعدلن إلى الأشكال التأثيرية والتعبيرية التي تكتنز طاقة حجاجية عالية . إن توظيف الصور البلاغية في التعبير عن المعاني المقصودة يرفع القيمة الحجاجية للخطاب لما تتمتع به الصورة من قوة حجاجية . إن القوة الحجاجية للصورة أهلّتها أن تكون على رأس الأقوال حجاجياً فهي تقع في أعلى الأقوال في السلم الحجاجي أن هذهِ المكانة والقوة الحجاجية تجعل الصورة البلاغية تمتلك خصائص تنفرد بها عن الأقوال الأخرى .

- أن الصورة تمتنع عن الدحض أو الإبطال إذ ((يعسر على المتلقي أن يتصور إمكان ورود دليل مضاد بعد تشبيه أو استعارة أي دليل يخدم النتيجة المعاكسة وذلك على خلاف الأقوال العادية العارية من التشابيه والاستعارات والتي يمكن بيسر إحلالها في سياقات الأبطال أو التعارض الحجاجي)) (الطبرسي، ج٢، ص١٢٨-١٢٩) .

فلا يمكن أن يأتي بعد الصورة أي رابط من روابط التعارض الحجاجي مثل (بل) و (لكن) وهي لا ترد أيضاً في سياق التعارض الحجاجي ( سامية الدريدي ، ٢٠٠٩ ، ص١٠٩) والسبب في ذلك يعود إلى أن ((الدليل الذي يرد بعد (لكن) يكون أقوى من الدليل الذي يأتي قبلها وهذهِ القوة هي التي تمكنه من توجيه القول

بمجملـه)) (أبـو بكـر العـزاوي ، ٢٠٠٦ ، ص١٠٩) أمـا فيمـا يـرتبط بالصـورة فـإن الأمر يكون عكس ذلك .

فلـو عـدنا إلـى الصـورة البلاغيـة السـابقة وأدخلناهـا فـي سـياق التعـارض الحجـاجي سنجد الآتي:

- لقحت فنظرة ريثما تنتج ثم احتبلوا ملء القعب دماً عبيطاً وذعافاً مبيداً بل / لكن الفتنة انتهت.
- عشش فيها الشيطان وفرّخ بل/ لكنه ذهب .

نلاحـظ جيـداً افتقـاد الصـور للانسـجام المعنـوي لمـدلول تلـك الصـور الأمـر الـذي يجعلهـا ضـعيفة ومتناقضـة وغيـر منطقيـة فـالقوة الحجاجيـة للصـورة تتحقـق فـي أن ((القـول التشـبيهي أو الاسـتعاري لا يـرد ولا يعـارض إلا بتشـبيه مضـاد أو اسـتعارة معاكسـة)) أمـا أن تقـوم بنفيـه أو رده بكـلام مباشـر وتقريـري فهـو أمـر لا يغيـر مـن قيمة الصورة حجاجياً .

**الخاتمة**

اتسـمت الصـورة فـي خطـب السـيدة فاطمـة الزهـراء ﷺ والسـيدة زينـب ﷺ بأنهـا حجاجيـة بمسـتوياتها المتعـددة إذ ابتعـدت عـن أداء المعنـى المقصـود علـى نحـو تقريـري مباشـر واتجهـت نحـو الأداء البيـاني المـؤثر . الـذي يشـحن الدلالـة بطاقـة حجاجيـة عاليـة مسـتمدة مـن كونهـا تنبنـي مـن عـوالم المتلقـين وكفايـاتهم الثقافيـة والعقديـة والنفسـية مـن جهـة ومـن جهـة أخـرى مـن مضـمونها العـالي الـذي يحمـل المتلقـي علـى اسـتبعاد المعـاني المباشـرة وتخطيهـا نحـو مـداليل أعمـق عبـر سـلوك مسـاراً حجاجيـاً اسـتدلالياً خاصـاً ليتوصـل بنفسـه إلـى مقاصـدها ومراميهـا فـلا يمكـن لـه بعـد ذلـك رفـض ما توصل إليه بنفسه ، من هنا كان للصورة تأثير فاعل في إنتاج المعنى .

**المصادر**

**القرآن الكريم**

١. الاحتجـاج ، العلامـة أبـي المنصـور أحمـد بـن علـي بـن أبـي طالـب الطبرسـي، تحقيـق: الشـيخ إبـراهيم البهـادري والشـيخ محمد هـادي بـه، إشـراف العلامـة الشـيخ جعفـر السجسـتاني، منظمـة الأوقـاف والشـؤون الخيريـة- قسـم التحقيـق، ط٤، دار الأسـوة للطباعـة والنشـر، قـم- إيـران، ١٤٢٤هـ.
٢. الاسـتدلال البلاغـي ، شـكري المبخـوت ، دار المعرفـة للنشـر ، ط١، كليـة الآداب والفنـون الإنسانية ، منوبة - ليبيا ، ٢٠٠٦ .
٣. الاسـتعارات التـي نحيـا بهـا ، ترجمة:عبـد الحميـد حجفـة ، دار توبقـال ، ط١ ، ١٩٩٦ ، لا يكـوف وجونسن .
٤. الاسـتعارة والحجـاز ، ميشـيل لـوكيرن ، ترجمـة: عبـد الطـاهر وعزيـز ، مجلـة المنـاظرة ، الربـاط ، العدد٤ ، ١٩٩١ .
٥. الأسـلوب (دراسـة بلاغيـة تحليليـة لأصـول الأسـاليب العربيـة) أحمـد الشـايب ، مكتبـة النهضـة المصرية ، ط٦، القاهرة ، ١٩٦٦م .

٦. آليات الحجاج وأدواته ، عبد الهادي الشهري ، ضمن الحجاج : مفهومه ومجالاته ، عالم الكتب الحديث ، ط١ ، ج١.
٧. بحار الأنوار ، العلامة لحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي ، مؤسسة الوفاء ، ج٤، ط٢ ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٣هـ .
٨. البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته.
٩. بنيات المشابهة في اللغة العربية مقاربة معرفية ، عبد الإله سليم ، ط١، ٢٠٠١.
١٠. التحليل الحجاجي للخطاب ، إشراف وتقديم د. أحمد قادم ، د. سعيد العوادي ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، ط١، عمان – الأردن ، ٢٠١٦م .
١١. الحجاج في البلاغة المعاصرة ، محمد سالم الأمين الطلبة ، ط١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، حزيران ، بنغازي – ليبيا ، ٢٠٠٨ .
١٢. الحجاج في الشعر العربي القديم ، سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث وجدارا للكتاب العالمي ، ٢٠٠٨ .
١٣. الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، عبد الله صولة ، منشورات كلية الآداب بمنوبة ، ٢٠٠١ .
١٤. الحجاج والاستدلال الحجاجي ، حبيب إعراب ، مجلة عالم الفكر، العدد١ ، المجلد٣٠ ، يوليو / سبتمبر ٢٠٠١ .
١٥. الحجاج والمغالطة (من الحوار في العقل على العقل في الحوار)، رشيد الراضي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط١ ، ٢٠١٠ .
١٦. خصائص الأسلوب في الشوقيات ، محمد الهادي الطرابلسي ، المجلس الأعلى للثقافة ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ط١.
١٧. خطاب الحجاج والتداولية (دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي) ، الدكتور عباس حشاني، جامعة محمد خيضر بسكر، ط١، الجزائر، عالم الكتب الحديث ، إربد– الأردن،٢٠١٤.
١٨. دراسات في الحجاج ، سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث ، ط١ ، ٢٠٠٩ .
١٩. دلائل الإعجاز ، في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت٤٧١هـ) ، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر ، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة ، ط٣ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
٢٠. زينب الكبرى من المهد إلى اللحد ، السيد محمد كاظم القزويني ، حققه وعلق عليه ولده السيد مصطفى القزويني ، دار المرتضى ، بيروت .
٢١. العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ) تحقيق: د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، مجلد٤ ، ط١ ، ٢٠٠٣ .
٢٢. فاطمة (عليها السلام) من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني ، مطبعة سيد الشهداء (عليه السلام) ، مركز النشر: مكتبة بصيرتي ، قم – طهران ، ١٤١٤هـ .
٢٣. فن الخطابة ، أحمد محمد الحوفي ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ٢٠٠٣ .
٢٤. لسان العرب ، حمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت٧١١هـ) ، دار صادر ، ط٢ ، مجلد٦ ، بيروت – لبنان ، ١٤١٤هـ .
٢٥. مجمع البحرين ، الشيخ فخر الدين الطريحي ، تحقيق:السيد أحمد الحسيني ، مكتب النشر الثقافة الإسلامية ، ج١، ط٢ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م .
٢٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، أبو العباس (ت٧٧٠هـ) ، تحقيق. عبد العظيم الشناوي ، دار المعارف ، القاهرة ، المكتبة العلمية ، مجلد١ ، ط٢ ، بيروت .
٢٧. المعجم الوسيط ، تأليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات /حامد عبد القادر/ محمد النجار، مجمع اللغة العربية - مكتبة الشروق الدولية ،٢٠٠٤.
٢٨. مفتاح العلوم ، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي(ت٦٢٦هـ) ، تحقيق. نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، مجلد١ ، ط٢ ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م .
٢٩. مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح ، فريق البحث في البلاغة والحجاج ، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية – كلية الآداب ، منوبة – تونس .
٣٠. من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، د.جميل حمداوي، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء- المغرب ، ٢٠١٤ .

٣١. منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القرطاجني، أبو الحسن (ت٦٨٤هـ) ، تقديم وترجمة وتحقيق . محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، ط١ ، تونس .
٣٢. موسوعة سيرة أهل البيت ، باقر شريف القرشي ، ج١٤، دار المعروف ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٣٣. النهاية في غريب الحديث والأثر ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت٦٠٦هـ) ، تحقيق. طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

**Sources:**

**-The Holy Quran**

1. The protest, the mark Abi Mansour Ahmed bin Ali bin Abi Talib Al-Tabarsi, investigation: Sheikh Ibrahim Bahadri and Sheikh Mohammed Hadi Bah, supervision of the mark Sheikh Jaafar Al-Sijistani, Awqaf and Charitable Organization - Investigation Department, Fourth Edition, Dar Aswa for printing and publishing, Qom - Iran, 1424 A. H.
2. Al-Bilghi Induction, Shukri Al-Mabkhout, Dar Al-Ma'arafa Publishing, First Edition, Faculty of Arts and Humanities, Manouba, Libya, 2006.
3. The metaphors that we live by, translated by: Abdel Hamid Hjaga, Dar Toubkal, first edition, 1996, Noek and Johnson.
4. The metaphor and the Hijaz, Michelle Lucerne, Translated by: Abdel-Tahir and Aziz, Al-Manadala Magazine, Rabat, No. 4, 1991.
5. The method (a study of rhetorical analysis of the origins of Arabic methods) Ahmed Shayeb, Library of the Egyptian Renaissance, sixth edition, Cairo, 1966.
6. Mechanisms of Pilgrims and its Tools, Abdul Hadi Al-Shihri, Among the Pilgrims: Its Concept and Areas, The World of Modern Books, First Edition, Undated.
7. Sailor Al-Anwar, The Flag of the Pride of the Ummah, Sheikh Mohammed Baqir Al-Majlisi, Al-Wafa Foundation, Part 4, 2nd edition, Beirut, Lebanon, 1403H.
8. Arab rhetoric in the light of the new rhetoric within the pilgrims concept and areas.
9. Comparative Structures in the Arabic Language: A Cognitive Approach, Abd al-Ilah Selim, First Edition, 2001.
10. Pilgrim's analysis of speech, supervision and presentation d. Ahmed Kadem, Dr. Saeed Al-Awadi, Dar Knoz Al-Maarifah for Publishing and Distribution, First Edition, Amman, Jordan, 2016.
11. The Pilgrims in Contemporary Dialogues, Muhammad Salem Al Ameen Al Talabah, First Edition, New United Book House, June, Benghazi, Libya, 2008.
12. Pilgrims in Ancient Arabic Poetry, Samia Al-Deridi, World of Modern Books and the Writings of the World Book, 2008.
13. Pilgrims in the Qur'an through its most stylistic characteristics, Abdullah Sola, Publications of the Faculty of Arts in Manouba, 2001.
14. Pilgrims and Inference of the Pilgrims, Habib Irab, Journal of the World of Thought, Vol. 1, Volume 30, July / September 2001.
15. Pilgrims and Falsehood (From Dialogue in Reason to Reason in Dialogue), Rashid Al Radi, New United Book House, First Edition, 2010.

16. Characteristics of the method in the longing, Mohamed Hadi Trabelsi, Supreme Council of Culture, the Egyptian General Book Organization, the first edition, without a date.
17. The Speech of Pilgrims and Traditions (A Study in Ibn Badis Literary Work), Dr. Abbas Hachani, Mohammed Khader University in Sugar, First Edition, Algeria, The World of Modern Books, Irbid, Jordan, 2014.
18. Studies in the Pilgrims, Samia Al-Daridi, The World of Modern Books, First Edition, 2009.
19. The Evidence of Miracles, in the Knowledge of the Meanings, Abu Bakr Abdul-Qaher bin Abdul Rahman bin Mohammed Al-Farsi origin, Al-Jarjani Al-Dar (471 H.), investigation: Mahmoud Mohammed Shaker Abu Fahr, Cairo Civil Press - Dar Al Madani, Jeddah, 1992.
20. Zeinab the Great from the cradle to the grave, Mr. Mohammad Kazem Al-Qazwini, achieved and commented by his son Mr. Mustafa Al-Qazwini, Dar Al-Mortada, Beirut.
21. Al Ain, Abu Abdul Rahman Al-Khalil Bin Ahmed bin Amr bin Tamim Al-Farahidi visual (170H.) Inquiry: Dr. Mahdi Al-Makhzoumi, Dr. Ibrahim al-Samarrai, Dar Al-Hilal Library, Vol. 4, First Edition, 2003.
22. Fatima (peace be upon her) from the cradle to the grave, Mr. Mohammad Kazem Al-Qazwini, the print of the martyrs of the martyr (peace be upon him), the center of publication: Library of Basra, Qom - Tehran, 1414H.
23. Public Speaking, Ahmed Mohamed El-Houfi, Nahdet Misr for Printing and Publishing, 2003.
24. The Arab tongue, Hamad ibn Makram bin Ali, Abu Al-Fadl, Gamal Al-Din Ibn Manzoor Al-Ansari Al-Ruwaifi, Africa (v711), Dar Sader, the second sect, Volume 6, Beirut - Lebanon, 1414H.
25. Bahrain Complex, Sheikh Fakhr Al-Din Al-Turaihi, Investigation: Mr. Ahmed Al-Husseini, Office of Islamic Culture Publishing, Part 1, 2nd edition, 1408 A. H-1987 A. M.
26. The illuminating lamp in Gharib Al-Sharh Al-Kabeer, Ahmad Ibn Muhammad Ibn Ali Al-Fayoumi Al-Hamawi, Abu Al-Abbas (770 A.H), Investigation. Abdel-Azim El-Shennawy, Dar El Maaref, Cairo, The Scientific Library, Volume 1, 2nd edition, Beirut.
27. The Mediator, Author: The Arabic Language Complex in Cairo (Ibrahim Mustafa / Ahmed El Zayat / Hamed Abdelkader / Mohamed El Naggar, Arabic Language Complex - Shurooq International Library, 2004.
28. Miftah al-Uloom, Yusuf ibn Abi Bakr bin Muhammad bin Ali al-Sakaki (v. 626 AH), investigation. Naeem Zerzour, Dar al-Kuttab al-Alami, Volume 1, 2nd edition, Beirut, Lebanon, 1407 AH -1987.
29. Introduction to the theoretical background of the term, research team in rhetoric and pilgrims, supervision Hammadi Samoud, University of Arts, Arts and Humanities - Faculty of Arts, Manouba - Tunisia.
30. From pilgrims to the new rhetoric, Dr. Jamil Hamdawi, Africa East, Casablanca-Morocco, 2014.
31. The Balogha and Siraj Literary Methodology, Hazem ibn Muhammad Ibn Hassan, Ibn Hazem Al-Quratajani, Abu Al-Hasan (684 H), presentation, translation and investigation. Mohammed Habib Ibn Al-Khawaja, Dar Al-Gharb Al-Islami, first edition, Tunisia.

32. Encyclopedia of the Biography of Ahl Al-Bayt, Baqir Sharif Al-Qurashi, Part 14, Dar al-Mawarif, Ministry of Culture and Islamic Guidance, 2009 A. M.
33. The end in the strange talk and impact, Majd Al-Din Abu Al-Saadat Mubarak bin Mohammed bin Mohammed bin Mohammed bin Abdul Karim Al-Shibani Al-Jazari Ibn Al-Atheer (606 AH), investigation. Taher Ahmed Al-Zawawi and Mahmoud Al-Tannahi, The Scientific Library, Beirut, 1399-1979

# The rhetorical image in women 's speech )As opposed to the sermons of Mrs. Fatima (on her Peace) and the speeches of Ms. Zeinab (on her Peace)

**Dr. Nsrien Staar Jbaar**
University Of Baghdad - College of Education' In Rushd
Emil:nasermkei@yahoo.com
07700626608

## Abstract

The rhetoric is an authentic art of the Arabs and an effective means of communicating ideas, expressing visions and influencing the communicator and making him convinced. The rhetoric has been associated with the pilgrims as their essence and the khateeb have an influential role in the success of the Hajj process and laying the foundations of the artificial construction of those who are addressing them. To achieve justice and enable the arguments and the credibility of evidence and enjoy the authority to qualify him to influence the hearts of the interviewers and knowledge of their levels have been available in these qualities in the personality of Ms. Zahra peace be upon her and the identity of Ms. Zainab peace be clear and clear and her speeches on TB The graphic performance embodied in the image formation was characterized by its high ability to produce the meaning of its energy. The image in the sermons was a pilgrimage of its various levels, as it was derived from the worlds of the recipients and their cultural

**key words The Rhetoric - speech- women 's Image - - Pilgrims**